مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي بين الأعمال العسكرية والطموحات السياسية
اسم الكاتب: د. سامي مرعي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2696
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 10:34 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

تَاجُ الدولةِ تُتُش بن أَلب أَرْسَلان السّلجوقيُّ بين الأعمال العسكريّة والطّموحات السّياسيّة

د. سامي مرعي*

الملخص

يعالج هذا البحث حياة قائد من قواد التركمان السلاجقة، وهو تاجُ الدولةِ تُتُش بن أَلب أَرسلان السلجوقيُّ الذي كان له الدور الأبرز في دخول بلاد الشام تحت الحكم السلجوقي المباشر، ويُعدّ المؤسس لدولة السلاجقة فيها، فيعرض الأسباب التي أدت إلى تعيينه عليها، والأعمال العسكرية التي قام بها، بدءاً من حِصاره لحلب، وصولاً إلى سيطرته على دمشق، وتأسيس حكم أسرة آل تتش فيها التي سوف تستمر في حكم مناطق بلاد الشام لثمانين سنة مقبلة، ثم يعرض التوسعات التي قام بها على حساب القوى الموجودة على الساحة السياسية لا سيما الفاطميين، وبني عقيل، وآل عمار وغيرهم، ثم الصراع الذي حصل بينه وبين سليمان شاه السلجوقي للاستيلاء على حلب، ثم التنافس بينه وبين قواد ملكشاه في شمال بلاد الشام والجزيرة، ثم يعالج البحث طموحات تتش للوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية، ومساعيه في سبيل ذلك. وبناء على ما سبق، فإن هذا البحث يؤرخ لمرحلة فاصلة من تاريخ بلاد الشام، وهي مرحلة غياب القبائل العربية عن مسرح السياسة والحكم فيها، ودخولها تحت الحكم السلجوقي المباشر، ومن جانب آخر يؤرخ لمرحلة حاسمة من تاريخ السلطنة السلجوقية، فيتطرق للصراع على عرشها الذي حدث عقب وفاة السلطان ملكشاه في سنة 485هـ/ 1092م.

الكلمات المفتاحية: تاج الدولة تتش، بلاد الشام، أتسز، مسلم بن قريش العقيلي، سليمان شاه، آقسنقر، ملكشاه، بركياروق.

* أستاذ مساعدفي قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية – سورية.

Taj Al-Dawla Touch bin Alp Arslan Seljuk between the military actions and The politicalambitions

DR. Sami Muray *

Research Summary

This paper deals with the life of a Seljuk Turkmen leader, who is the crown of the country Touch bin Alp Arslan Seljuk, who had the most prominent role in entering the Bilad Al-Sham under Seljuk rule The direct, and prepares the founder of the Seljuk state in it, to present the reasons that led to his appointment to it, and the military actions undertaken by him starting from the siege of Aleppo,until his control of Damascus, Establishing the rule of the Al Touch family in which it will continue to rule the regions of the Bilad Al-Sham for the next eighty years, and then displays the expansions that it undertook at the expense of the forces present on The political scene, especially the Fatimids, BaniAqil, the family of Ammar and others, then the conflict between him and Suleiman Shah, the Seljuki, over Aleppo, then the competition between him and the leaders of Malakshah in the north of the Bilad Al-ShamAnd al-jazziera, then addresses the ambitions of Touch to reach the throne of the Seljuk Sultanate, and his attempts to do so, and accordingly, this research chronicles a watershed stage in the history of the Bilad Al-Sham, a stage of absence The Arab tribes on the stage of politics and governance therein, and their entry under the direct Seljuk rule, and on the other hand it chronicles a crucial stage in the history of the Seljuk Sultanate, so it is exposed to the struggle for its throne that took place after the death of Sultan Malikshah in the year of 485H/ 1092AD.

Key words:Taj Al-Dawla Touch, Bilad Al-Sham, Atsz, Muslim Bin Quraish Al-Aqili, Sulaiman Shah, Aksnqar, Malakshah, Berkariq.

*Associate Professor at Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

المقدمة:

أولاً: أسباب تعيين تاج الدولة تتشولياًعلى بلاد الشام:

1. اضطراب أوضاع بلاد الشام وضعف القوى الحاكمة فيها قُبيل قدوم تتش إليها.
2. ضعف التركمان الناوكية في جنوب بلاد الشام.
3. تطلع السلاجقة للسيطرة على بلاد الشام.

ثانياً: مسير تتش إلى بلاد الشام وحصاره حلب في سنتي 470- 471هـ/ 1078-1079م.

ثالثاً: تملّك تتش دمشق سنة 472هـ/ 1079م وبداية الحكم السلجوقي المباشر في بلاد الشام.

رابعاً: أعمال تتش العسكرية في بلاد الشام خلال المدة (472-479هـ/ 1079-1086م):

1. تثبيت تتش نفوذه في جنوب بلاد الشام.
2. الصراع بين تتش ومسلم بن قريش العُقيلي.
3. الصراع بين تتشوسليمان بن قتلمش.
4. محاولة تتش السيطرة على حلب سنة 479هـ/ 1086م.

خامساً: أعمال تتش العسكرية في بلاد الشام خلال المدة (479- 485هـ/ 1086-1092م).

1. علاقة تتش بالقوى المحلية المستقلة في المدن الساحلية والفاطميين.
2. استيلاء السلاجقة بقيادة تتش على حمص.
3. حصار السلاجقة بقيادة تتش طرابلس.

سادساً: تطلع تتش للوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية (485- 488هـ/ 1092-1095م).

1. زحف تتش الأول للسيطرة على السلطنة السلجوقية.
2. محاولة تتش الثانية لطلب السلطنة السلجوقية ومقتله سنة 488هـ/ 1095م.
3. أسباب إخفاق تتش في الوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية.

- خاتمة.

المقدمة:

اتسمت السّلطنة السّلجوقية في عصرها الأوّل (عصر السلاطين العظام) بطابع العائليّة والأسريّة بسببباعتمادهم سياسة تقسيم أعمالها وولاياتها على أفراد الأسرة السلجوقية، فقد قامت الملكية في أيامهم على أساس النّظام الإقطاعي، إذ عدّوا المملكة ضيعةً واسعةً للسّلطان يمتلكها نيابةً عن قومه، ويُوزع أراضيها على أقربائه ومؤيّديه، كما اعتمدوا مبدأ عدم ازدياد نفوذ أي إقطاعٍ حتّى يتجنّبوا خطر انفصاله عن جسم السّلطنة في المستقبل، وقد حصل حاكم كل إقليم على لقب "ملك"، وتمتّع باستقلال ذاتي في تصريف شؤون ولايته الدّاخلية؛ ووفقاً للسياسة السلجوقية هذه، جاء إقطاع السّلطان ملكشاه[1] بلاد الشام لأخيه تاج الدولة تتش الذي يعدّ المؤسس لدولة السلاجقة فيها، فهو ما إن سيطر على دمشق حتى أخذ في توسيع رقعة ولايته، فحارب القوى المجاورة له في الشّمال والغرب، ولم يكتف بذلك، بل حاول السّيطرة على السّلطنة عقب وفاة ذلك السلطان، فزحف مرتين باتجاه المشرق في سبيل ذلك، غير أنه أخفق وقُتل.

أولاً: أسباب تعيين تاج الدولة تُتُشوالياً على بلاد الشام:

تُتُش: هو تاج الدّولة أبو سعيد تتش بن السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق السّلجوقي، وهو الرابع من أبناء ألب أرسلان[2] الستّة، وهم:

---

[1] أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان: تولى السّلطنة السّلجوقية عقب مقتل والده سنة 465هـ/ 1073م، واستمر يتولاها حتى توفي سنة 485هـ/ 1092م، اتخذ أصفهان عاصمةً لملكه ومقرّاً لعرشه؛ الراوندي، محمد بن علي (ت، بعد 603هـ/ 1206م)، راحة الصدور وآية السرور، تر: إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، دار القلم، القاهرة، 1379هـ- 1960م، ص197- 212؛ ابن خلّكان، محمّد بن أحمد (ت، 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (8 مجلدات)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مج5، ص283- 289.

[2] أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق: تولى عرش السلطنة بعد وفاة عمه طغرل بك سنة 455هـ/ 1063م، واستمر سلطاناً عليها حتى مقتله سنة 465هـ/ 1073م؛ الراوندي، راحة الصدور، ص185- 196.

ملكشاه، تكش، إياز، تتش، بوري برس، وأرسلان أرغون[3]، ولدتتش سنة 458هـ/ 1066م[4]، وهكذا فإنّ السّلطان ملكشاه لمّا عزم توليَته على الشّام في سنة 468هـ/ 1076م، لم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره، ووفقاً للطّريقة السّلجوقيةفقد تولّى مجموعة من قوّاد الجيش تربيته وتدريبه، والحكم وشنّ الحملات باسمه[5]، فما الأسباب التي دفعت السلطان إلى تعيينه عليها؟.

1- اضطراب أوضاع بلاد الشّام، وضعف القوى الحاكمة فيها: كانت بلاد الشام قبيل قدوم التّركمان السّلاجقة إليها في القرن 5هـ/ 11م موزّعة بين المرداسيين[6] في الشمال، والخلافة الفاطميةفي الجنوب. أما المرداسيون، فكانت حاضرتهم مدينة حلب، وتذبذبت علاقاتهم مع الفاطميين ما بين العداء والمسالمة والدّخول في طاعتهم؛ لذلك كثيراً ما أرسل الفاطميون حملاتهم العسكرية للسّيطرة على شمال بلاد الشام، ونجحوا في ذلك لأوقات قصيرة، ولكنّ الدّولة المرداسية (415- 473هـ/ 1024- 1080م) استمرّت في حكمه(7)، في الوقت الذي تراجع فيه النّفوذ الفاطمي في بلاد الشام مع بداية النّصف الثاني من ذلك القرن، إذ بدأت بعض المدن الساحلية بالانفصال عن حكمهم، لتكوّن

---

[3] الحسيني، علي بن ناصر (ت، بعد 622هـ/ 1220م)، أخبار الدولة السلجوقية، تح: محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1404هـ- 1984م، ص54؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت، 733هـ/ 1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (33 جزءاً)،تح: نجيب فواز، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ- 2004م، ج26، ص184.

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج1، ص295.

[5] مصطفى، شاكر، في التاريخ الشامي، (جزآن)، دار طلاس، ط1، دمشق، 1998م، ج2، ص145.

[6] الدولة المرداسية: أسسها صالح بن مرداس أمير قبيلة كلاب في حلب في سنة 415هـ/ 1024م، وظلت قائمة حتى سنة 473هـ/ 1080م؛ للمزيد عنها: ابن العديم، عمر بن أحمد (ت، 660هـ/ 1262م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، (جزآن)، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، 1418هـ- 1997م، ج1، ص197- 302؛ زكار، سهيل، إمارة حلب (1002- 1094م)، دمشق، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ص57- 164.

[7] ابن العديم، زبدة، ج1، ص213- 247؛ المعاضيدي، خاشع، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي، دار الحرية، ط1، بغداد، 1976م، ص74- 78.

لنفسها حكماً ذاتيّاً مستقلّاً كما في صور وطرابلس(8). وكان من القوى الموجودة على السّاحة السّياسية في تلك البلاد الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تحتل أنطاكية، وبعض مناطق الشّمال والسّاحل منذ القرن 4هـ/ 10م(9).

وحدث في ذلك الوقت أن أخذت القوى السّياسيّة الموجودة في بلاد الشام باستدعاء التركمان الذين بدؤوا يتسرّبون إليهاعلى شكل جماعات عسكريّة، ليعملوا لحسابها، وكان أول دخولهم إليها بُعيد وصول عطية بن صالح[10]إلى حكم حلب سنة 454هـ/ 1062م، مما أغضب ابن أخيه محمود بن نصر[11]، فدار صراعٌ بينهما على السّلّطة، فاستدعى عطية أثناء الصّراع مجموعة من التّركمان في ديار بكر[12] بقيادة رجل يدعى ابن خان[13]، فجاءه في ألف رجل من الرماة، فكان هذا "أول دخول الترك إلى الشام"[14]، غير أنّ ابن خان لم يستمر طويلاً في تحالفه مع عطية، إذ انفصل عنه، وانضمّ إلى

---

(8)ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت، 555هـ/ 1160م)، تاريخ دمشق (360-555هـ/ 970-1160م)، تح: سهيل زكار، دار حسان، ط1، دمشق، 1403هـ- 1983م، ص182؛ سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي (ت، 654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، (23 جزءاً)، تح: محمد أنس الخن، كامل محمد الخراط، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق،1434هـ- 2013م، ج19، ص219.

(9)ابن العديم، زبدة، ج1، ص148- 151.

(10)عطية بن صالح بن مرداس: أمير الدولة المرداسية، تولاها خلفاً لأخيه ثمال بن صالح سنة 454هـ/ 1062م، واستمر عليها حتى انتزعها منه ابن أخيه محمود بن نصر بن صالح سنة 457هـ/ 1065م؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص247- 252.

(11)محمود بن نصر بن صالح: تولى إدارة الدولة المرداسية مرتين: الأولى في سنة 452هـ/ 1060م إلى سنة 453هـ/ 1061م، وبدأت الثانية في سنة 457هـ/ 1065م عندما انتزعها من عمه عطية بن صالح، ولم يزل أميرها حتى توفي سنة 467هـ/ 1075م؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص234- 243، 253- 279.

(12) ديار بكر: بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل، تقع في أعالي الجزيرة الفراتية، ومن مدنها: آمد، وميافارقين، وحصن كيفا؛ الحموي، ياقوت (ت، 626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، (7 مجلدات)، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، مج2، ص494.

(13)العظيمي، محمد بن علي (ت، 556هـ/ 1161م)، تاريخ حلب، تح: إبراهيم زعرور، دمشق، 1984م، ص345.

(14) ابن العديم، زبدة الحلب،ج1، ص250.

محمود بن نصر بن صالح، وساعده على انتزاع حلب من عمّه[15]، واستمرّ يتولى الحكم المرداسي حتى وفاته سنة 467هـ/ 1074م. وكان من أهم الأحداث في عهده تسرّب جماعات من التّرك إلى بلاد الشام، ربما نتيجةلسياسة الملاطفة التي اتّبعها تجاههم، فبعدما دخل حلب، أقطع ابن خان معرّة النّعمان، فاستقرّ فيها مع أتباعه، وصاروا أداةً فعّالةً بيده يستخدمهم لتدعيم نفوذه، وإخماد تحرّكات القبائل العربية وإخضاعها، وكان لهذا شأن كبير في تمهيد السّبيل لحدوث تغير سياسي هائل؛ تمثّل بإزاحة القبائل العربيّة عن مسرح السّياسة، وإحلال التّركمان محلهم[16].

وكان من نتائج ضعف النّفوذ الفاطمي في القسم الجنوبي من بلاد الشّام، أن تسرّبت إليها جماعات من التّركمان، وعرفت أولاهابالناوكية: وهي جماعات من المرتزقة التّركمان الذين لم يدينوا بالطاعة للسّلطان السّلجوقي، وكانت تعسكر في الأراضي البيزنطية، وانتقلت منها عن طريق أنطاكية إلى جنوب بلاد الشام[17]، ويبدو أن زعامتها كانت في أسرة أوق الخوارزمي، الّتي كانت أولى الجماعات التّركيّة التي طلعت إلى فلسطين، فاستولوا عليها، وأقاموا بها، وكان من أبرز أفرادها نشاطاً:أتسز بن أوق الخوارزمي[18] الذي استولى على الرّملة والقدس، ثمّ سيطر على دمشق في سنة 468هـ/ 1075م،

---

[15] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص155- 156؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص 251-252.

[16] ابن العديم، المصدر نفسه، ج1، ص 254- 255؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت، 749هـ/ 1348م)، تاريخ ابن الوردي، (جزآن)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ- 1996م، ج1، ص359؛ زكار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الأمانة- مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1391هـ- 1972م، ص133.

[17] زكار، مدخل، ص132؛ إمارة حلب، ص158- 159.

[18] ورد رسم اسمه في بعض المصادر باسم أقسيس؛ ابن الأثير، علي بن محمد (ت، 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، (11جزءاً)، تح: عمرعبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، 1424هـ- 2004م، ج8، ص256؛ بينما ذكر المقريزي أن اسمه هو (أطسزابن أوق الخوارزمي، ومعنى أطسز : ليس معه قرين، وهي كلمة تركية)؛ المقريزي، أحمد بن علي (ت، 845هـ/ 1441م)، المقفى الكبير، (8 أجزاء)، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1411هـ- 1991م، ج2، ص220.

فأبطل الخطبة للخليفة الفاطمي، وأقامها للخليفة العباسي والسّلطان السلجوقي[19]، ثم توسّع شمالاً حتى وصل إلى أعمال حلب الجنوبية، فتصدّى له الأمير المرداسي نصر بن محمود[20] الذي خلف أباه سنة 467هـ/ 1074م، بمساعدة التّركمان الموجودين فيها بقيادة أحمد شاه وطرده[21].

لم يطُلْ الوقت حتى اصطدم نصر بن محمود المرداسي بأحمد شاه والتّركمان المقيمين في مدينته، فقتلوه وزحفوا نحو المدينة للسّيطرة عليها، فأجلس رجال الإمارة سابق بن محمود[22]، وأشاروا عليه بإطلاق سراح أحمد شاه، فأطلقه، فنزل إلى معسكر جماعته، وأخمد الفتنة[23]، وأصبح سابق أداةً طيّعة في أيدي أحمد شاه وتركمانه، فكان

[19] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 166؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص 269؛ ابن عساكر، علي بن الحسن (ت، 571هـ/ 1175م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، (80 جزءاً)، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ- 1995م، ج7، ص 348- 349؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص256- 257؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص221-222؛ الصفدي، خليل بن أيبك (ت، 764هـ/ 1362م)، أمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط2، بيروت، 1403هـ- 1983م، ص24- 25؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (ت، 808هـ/ 1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمّى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (8 مجلدات)، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ- 2003م، مج3، ص576؛ مج5، ص6.

[20] نصر بن محمود بن نصر: خلف أباه على الدولة المرداسية سنة 467هـ/ 1075م، واستمرّ عليها حتى قُتل سنة 468هـ/ 1076م؛ ابن العديم، زبدة الحلب،ج1، ص280- 284.

[21] ابن العديم، المصدر نفسه، ج1، ص280- 283.

[22] سابق بن محمود بن نصر: آخر أمراء الدولة المرداسيةفي حلب، حكم بعد مقتل أخيه نصر سنة 468هـ/ 1076م، واستمر عليها حتى دخول مسلم العقيلي حلب سنة 473هـ/ 1080م، وإنهاء الحكم المرداسي فيها؛ ابن العديم، عمر بن أحمد (ت، 660هـ/ 1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، (12 مجلداً)، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988م،مج9، ص4077- 4084؛زبدة الحلب،ج1، ص285- 302.

[23] العظيمي، تاريخ حلب، ص349؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص175؛ ابن العديم، بغية، مج3، ص1298- 1299؛ مج9، ص4077؛ زبدة، ج1، ص284-285.

يقرّبهم ويقدّمهم على أهله بني كلاب[24]، ممّا أغضب بعض زعماء قبيلته، فاجتمعوا إلى أخيه وثاب بن محمود، وبايعوه أميراً عليهم، وحشدت بنو كلاب قواتها، وعسكرت في المنطقة المحيطة بقنسرين استعداداً لاقتحام حلب، وعلى إثر ذلك لجأ سابق إلى مشاورة أحمد شاه، فقام هذا الأخير باستدعاء أحد زعماء التركمان المعسكرين قرب الحدود البيزنطية، واسمه محمد بن دملاج، ومعه خمسمئة رجل، ولما التحق به، أغاروا بشكل مفاجئ على معسكر الكلابيين الذين انهزموا من غير قتال، وغنم التركمان كل حللهم[25] وممتلكاتهم[26]. وفي إثْر تلك الهزيمة التي لحقت ببني كلاب، توجّه وثاب بن محمود برفقة بعض زعماء قبيلته إلى السّلطان السّلجوقي ملكشاه في خراسان، فشكوا حالهم إليه، وسألوه تقديم العون ضد سابق، ورفع الغبن الذي لحق بهم، فوعدهم بما طيّب نفوسهم، ومنح كل واحد منهم إقطاعاً في الشام، وعين أخاه تاج الدولة تتش والياً على الشّام، وأمره بالمسير إليه في أوائل سنة 470هـ/ 1077م[27].

2- ضعف التركمان الناوكية في جنوب بلاد الشام: سبقت الإشارة إلى أن أُولى الجماعات التركمانية التي دخلت جنوب بلاد الشام كانت الناوكية التي لم تكن من الأسرة السلجوقية، فلماعزم السلطان ملكشاه على تولية أخيه تتش الشام في سنة 468هـ/ 1076م، وسرَتْ الأخبار بذلك، أثار ذلك ردود فعل لدى كلٍّ من وزير السّلطان نظام

---

[24] بنو كلاب: بطن من بطون بنيربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم من العدنانية، انتقلوا من منازلهم في الجزيرة العربية إلى بلاد الشام وأطراف العراق، فملكوا حلب ونواحيها وكثير من مدن الشام، ثم ضعفوا؛ ابن خلدون، تاريخ، مج2، ص358- 359؛ كحاله، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط5، 1405هـ-1985م، ج3، ص989.

[25] الحُلَّة: ج حُلل وحِلال: كل ثوب جديد أو عموماً الثوب الساتر لجميع البدن/ السلاح. يقال "لبس المحاربُ حُلَّته وبزّته" أي لبس سلاحه وثيابه؛ المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط33، 1992م، ص147، "مادة حَلّ".

[26] ابن العديم، بغية، مج3، ص1299؛ مج9، ص 4078؛ زبدة، ج1، ص 286-287.

[27] ابن العديم، زبدة، ج1، ص 288؛ بغية، مج9، ص4078؛ زكار، إمارة حلب، ص153.

الملك[28]، وكذلك أتسز بن أوق الخوارزمي زعيم التركمان الناوكية في بلاد الشام، فحاول نظام الملك أن يوقف قرار السلطان، إذ كان لا يُؤْثِر تعيين تتش عليها، كذلك امتعض أتسز الخوارزمي، فكتب إلى السلطانأنه مقيم على الطاعة للسلطنة السلجوقية التي أقام الخطبة لها، وواصل إرسال الأموال إليها، وأنه يقف في وجه الخلافة الفاطمية في مصر(29)، ويبدو أن أتسز قد وعد مع الهدايا بدفع ثلاثين ألف دينارفي السّنة(30)، وإثر ذلك يظهر أنه صرف النظر عن مشروع تعيين تتش على بلاد الشام، فقدّم أتسز عربون شكر وتقدير على هذه الثّقة كتاب بشرى بفتح دمشق صلحاً في ذي القعدة سنة 468هـ/ حزيران 1076م، وإقامة الخطبة فيها للخليفة العباسي والسّلطان السّلجوقي(31)، ولقطع الطريق على مشروع السّلطان بإرسال أخيه تتش إلى الشّام. عمد أتسز إلى متابعة العمل العسكري- السّياسي الذي بدأه، فقاد قوّاته بعد ثلاثة أشهر فقط من احتلاله دمشق باتجاه مصر، ولعله كان يطمح للسّيطرة عليها، واتخاذها ملجأ وملكاً له، فيما إذا حاول السّلاجقة الاستئثار بالشام[32]؛ لذلك قاد قوّاته التّركمانية، ومن انضاف إليها من العرب والأكراد عن طريق الساحل إلى مصر، غير أنه لقي هزيمةً منكرةً على أبواب

[28] نظام الملك: أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الملقب نظام الملك، أشهر وزراء السلاجقة، ولد سنة 408هـ/ 1017م، تولّى الوزارة عندهم مدةً تزيد على الثلاثين سنة، إذ وزر للسلطان ألب أرسلان، ثم لولده ملكشاه، كان مجلسه عامراً بالفقهاء والصوفية، ومن أبرز أعماله بناء المدارس النظامية، كما بنى الربط والمساجد في البلاد، قتل سنة 485هـ/ 1092م؛ ابن خلّكان، وفيات، مج2، ص128- 131؛ خواندمير، غياث الدين بن همام الدين (ت، 942هـ/ 1535م)، دستور الوزراء، تر: حربي سليمان، منشور ضمن كتابه (المؤرخ الإيراني الكبير غياث الدين خواندمير)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م، ص245- 259.

[29] غرس النعمة، محمد بن هلال الصابئ (ت، 480هـ/ 1087م)، عيون التواريخ، رواية سبط ابن الجوزي، تح: سميحة أبو الفضل، رسالة ماجستير- غير منشورة، بإشراف: أ.د سهيل زكار، جامعة دمشق، 1987م، ص327- 328؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص310- 311.

[30] غرس النعمة، عيون التواريخ، ص353؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص340.

[31] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج7، ص348- 349؛ غرس النعمة، عيون التواريخ، ص328- 329؛
Bianquis, Thierry, Damas et la Syrie sous la Domination Fatimide (359-468/ 969-1076), Damas, 1986, p649.

[32] مصطفى، في التاريخ الشامي، ج2، ص 148.

القاهرة، فعاد إلى الشّام مهزوماً في نفرٍ يسيرٍ من أتباعه[33]، وقد تركت تلك الهزيمة أصداءً واسعة في بلاط السّلطان السّلجوقي، إذ كانت أول هزيمة بارزة للتّركمان أمام القوّات الفاطميّة، فعاد على إثرها إلى مشروعه السّابق الذي – ثناه عنه نظام الملك – بمنح الشّام إقطاعاً لأخيه تتش.

3- تطلُّع السّلاجقة للسّيطرة على بلاد الشام: بدأ تطلُّع السّلاجقة للوصول إلى بلاد الشّام منذ قيام سلطنتهم، وإعلان تعلّقهم بالخلافة العباسية، فقد سعى طغرل بك(34) بعد سّيطرته على خراسان إلى تحقيق هدفين رئيسين؛ أوّلهما:الوصول إلى بغداد، وتأمين طريق الحج إلى مكة، وثانيهما: تأمين الطّريق نحو أرمينية، والتوسّع على حساب البيزنطيين في آسيا الصّغرى، والفاطميين في بلاد الشام[35]، ثمّ الزّحف باتجاه مصر والقضاء على الخلافة الفاطمية، وتوحيد العالم الإسلامي تحت قيادة خلافة إسلاميةموحدة[36].

وعلى الرغم من أن طغرل بك نجح في السيطرة على بغداد سنة 447هـ/ 1055م، وأمّن طريق الوصول إلى أرمينية، غير أنه لم يستطع تحقيق حلمه بالوصول إلى بلاد الشام، فلما كان عهد السلطان ألب أرسلان (455-465هـ/ 1063-1072م) سعى بجدٍ

---

[33] غرس النعمة، عيون الأخبار، ص338- 340؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص176-181؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص222- 223؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص576؛ مج5، ص6.
Salibi, Kamal, Syria under Islam, empire on trieal 634-1097, first published, Lebanon,1977, p132.

[34] طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، أبو طالب: أول ملوك السّلجوقية، أعلن السّلطنة السّلجوقية سنة 429هـ/ 1037م، ونجح في بناء كيان سياسي للغزّ السّلاجقة في المشرق الإسلامي، فقد انتصروا بقيادته على الغزنويين في عدة معارك، كان آخرها معركة دندانقان، وفي إثرها سيطروا على خراسان، ثم أخذ بالتوسع غرباً، دخل بغداد سنة 447هـ/ 1055م، وسيطر على الخلافة العباسية، وأنهى السلطة البويهية، توفي سنة 455هـ/ 1063م؛ الراوندي، راحة الصدور، ص159- 181.

[35] زكار، سهيل، أبو الفضل، سميحة، تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني، جامعة دمشق، ط2، 1428هـ-2007م، ص229.

[36] طقوش، محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، ط1، بيروت، 1423هـ- 2002م، ص98-99.

لتحقيق حلم السّلاجقة بضمّ بلاد الشام ومصر إلى الأملاك السّلجوقية، والقضاء على الخلافة الفاطمية، وقد جاءته الفرصة لتحقيق هدفهإثْر النّزاع الذي حصل بين أركان الحكم في مصر من أجل السّيطرة والتسلّط على الخليفة الفاطمي المستنصر (427-487هـ/ 1036- 1094م). وكان ناصر الدّولة الحمداني[37] أحد أبرز القادة في القاهرة، قد قام بمراسلة السّلطان ألب أرسلان يطلب منه أن يسيّر عسكراً إليه ليقيم الدعوة العباسية، وتكون مصر له، فتحرّك ذلك السّلطان بقواته غرباً لضمّ أملاك الخلافة الفاطمية في الشام ومصر، وقد وصل في حملته إلى حلب سنة 463هـ/ 1071م، فحاصرها مدة تزيد عن الشهر، دون أن يتمكن من دخولها، ففكّ الحصار عنها بعدما خرج الأمير المرداسي محمود بن نصر بن صالح إلى معسكره، وقدم له فروض الطّاعة والولاء[38]، غير أن هذا لا يعني أن السّلاجقة قد تغاضوا عن مشروعهم بضم بلاد الشام ومصر، وإسقاط الخلافة الفاطميّة، وجاءتهم الفرصة في سنة 470هـ/ 1077م في عهد السلطان ملكشاه، فكلف أخاه تتش والياً على الشام.

[37]ناصر الدولة الحمداني (...- 465هـ/ 1073م): الحسين بن الحسن ناصر الدولة الحمداني الملقّب سلطان الجيوش، وحفيد ناصر الدولة الحمداني أمير الدولة الحمدانية بالموصل، كان أحد القادة الطّامحين للتحكم بالخلافة الفاطمية في عهد المستنصر، برز لما اشتدت الفتنة فيها سنة 459هـ/ 1067م بين السودان والأتراك، ولما تغلب على مصر سنة 462هـ/ 1069- 1070م، أخذ في إبطال الخطبة للخليفة المستنصر وتغيير الدولة الفاطمية، وفي سبيل ذلك سيّر رسولاً إلى السلطان ألب أرسلان يسأله أن يجهز عسكراً إليه ليقيم الدعوة العباسية في مصر، قتل في رجب سنة 465هـ/ نيسان 1073م؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص220؛ ج3، ص500- 505.

[38]العظيمي، تاريخ حلب، ص347-348؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص 260-268؛ بغية، مج4، ص1971، 1975-1977؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص222؛ المقريزي، أحمد بن علي (ت، 845هـ / 1441م)، إتعاظالحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، (جزآن)، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ-2001م، ج2، ص131؛ Salibi,Syria under Islam, p131.

ثانياً: مسير تتش إلى بلاد الشام وحصاره حلب في سنتي 470- 471هـ/ 1078-1079م:

كان للعوامل السّالفة أثرها في دفع السلطان ملكشاه لإخضاع بلاد الشّام إلى الحكم السّلجوقي المباشر، فعاد إلى مشروعه القديم بإرسال أخيه تتش والياً عليها، لذا أقطعه إياها، وأمره بالمسير إليها في أوائل سنة 470هـ/ آب 1077م[39]، وكتب إلى عدد من أمراء الترك لمساعدته[40]، كما كتب إلى بني كلاب، وإلى مسلم ابن قريش العُقيلي[41] أمير الموصل بالسير معه[42].

توجه تتش نحو بلاد الشام في جيش صغير، ومعه بعض زعماء بني كلاب[43]، ولما وصل إلى ديار بكر بلغه أن أتسز لم يهلك، وأنه قد أخرب الشام وقتل أهلها، فكتب إلى السلطان يخبره، وطلب منه أن يمدّه بالعساكر. ويظهر أن تعيين تتش على الشام، وتوجّهه نحوها لم يلق قبولاً من أتسز، بل أثار الخوف لديه، فبعث إلى السّلطان هدايا ومالاً، وقال: "ما فعلت فعلاً يقتضي إنفاذ الأمير تتش نحوي، فإنني العبد الطايع"، فكتب السلطان إلى أخيه أن لا يتعرض لأتسز، ويقصد ناحية حلب[44]، وبذلك استطاع أتسز

---

[39] ابن الأثير، علي بن محمد (ت، 630هـ/ 1232م)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963م، ص7، 12؛ الكامل، ج8، ص 222؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص42؛ إسماعيل، أحمد علي، تاريخ السّلاجقة في بلاد الشّام في القرنين الخامس والسادس، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1403هـ- 1983م، ص23.

[40] "أفشين بن بكجي، وصندق التركي، ومحمد بن دملاج، وابن بريق، وابن طوطو"؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص 288.

[41] مُسلم بن قُرَيش بن بدران: أمير الدولة العقيلية في الموصل والجزيرة من سنة 453هـ/ 1061م حتى قتل سنة 478هـ/ 1085م، وفي أيامه اتسعت إمارته حتى شملت ديار ربيعة ومضر والجزيرة وحلب وشمالي الشام، كان شجاعاً عادلاً، حسن السيرة، وفرض الأمن ببلاده؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص295- 296؛ الذّهبي، محمد بن أحمد (ت، 748هـ/ 1347م)، العبر في خبر من غبر، (4 أجزاء)، تح: صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، وزارة الأعلام، ط2، الكويت، 1984م، ج3، ص294.

[42] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص181؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص289.

[43] كان من أمراء بني كلاب: وثاب بن محمود، مبارك بن شبل، حامد بن زغيب؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص289.

[44] غرس النعمة، عيون التواريخ، ص353؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص340.

أن ينقذ نفسه للمرة الثانية، ولكن الحملة السّلجوقية تابعت طريقها نحو شمال الشام، فكيف كان صدى تلك الحملة لدى قيادة الدولة المرداسية في حلب؟.

سمع سابق بن محمود المرداسي بأمر الحملة، وقائده التركماني أحمد شاهيحاصر أنطاكية بقواته، فاستدعاه، فعاد إلى حلب مع بعض الأتراك الذين نقلوا أموالهم وأهاليهم إلى مكان آمن قبل وقوع القتال، وما إن وصل تتش أسوار حلب في الثالث من ذي القعدة سنة 470هـ/ الثامن عشر من آذار عام 1078م، حتّى فرض الحصار عليها، واستمرّ محاصراً لها ثلاثة أشهر وعشرين يوماً، والقتال عليها متّصل، وعلى الرغم من مقتل أحمد شاه قائد العسكر التّركماني في حلب أثناء القتال، لكنّها لم تسقط بيده، مما اضطّر تتش لرفع الحصار عنها، والانسحاب نحو الشّرق في صفر سنة 471هـ/ مطلع أيلول عام 1078م[45]، ويعود إخفاق تتش في دخول حلب، إلى تفرق قوّاته التركمانية-العربية عنه، وكان الدور الأبرز في ذلك لمُسلم بن قُريش العُقيليالذي نجح في فك ارتباط العرب مع الترك، فرحل بنو كلاب من جيش تتش، وكان مع مسلم غلال كثيرة، فباعها لأهل حلب لتخفيف الغلاء عنهم بسبب الحصار المفروض عليها، وقد انكشف أمر هذا البيع لتتش، فعاتبه وطلب منه الرّجوع إلى أعماله، فجعل مسلم عبور عسكره على باب حلب، فباع أصحابه لأهلها "كل ما كان في العسكر عصبية وتقوية لهم، وقوّى نفوسهم ونفس سابق"، ونصح الزعماء الكلابيين بالاحتياط لأنفسهم أو الهرب إلى حلب[46].

كذلك كان لسابق بن محمود دورٌ بارزٌ في التّصدي للحصار السّلجوقي، فقد كان من مصلحته فك الارتباط بين الترك والعرب، لذا كتب إلى بني كلاب فتألّفهم، وقال لهم: "إنّي إنّما أذبُّ وأحامي عن بلادكم وعزّكم، ولو صار هذا البلد إلى تتش لزال ملك العرب

[45] العظيمي، تاريخ حلب، ص350؛ ابن العديم، بغية، مج9، ص4078؛ إسماعيل، تاريخ السلاجقة، ص123.

[46] ابن العديم، زبدة، ج1، ص289-290؛ بغية، مج9، ص4078؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص340.

وذلّوا"، كما كتب إلى بعض أمرائهم يعاتبه ويحذره من التخلف عنه، وأنه قد يكون سبباً لزوال ملك العرب، فتركت قوى الكلابيين القتال، وتجمعت بجانب سابق[47].

وعلى الرّغم من تخلّي بني كلاب ومسلم بن قريش عن تتش، إلّا أنّه استمرّ محاصراً لحلب، ويظهر أنه كان متوقّعاً لمثل هذا الانسحاب؛ لذلك كان قد طلب نجدة من السّلطان، وأن تُحمل له بشكل خاص، آلات الحصار ودكّ الأسوار، وقد التقى مسلم بن قريش في طريقه إلى الموصل بقوّة من التّركمان مؤلّفة من ألف جندي يقودها قائد يعرف بـ "تركمان التركي"، فحاول مُسلم منعه من مواصلة السير، وخوّفه من بني كلاب، ولمّا لم ينجح في إقناعه، عمد إلى مراسلة سابق، وساعده على تشكيل قوة عربية بدوية من مختلف القبائل، فكمنتْ للنجدة السلجوقية وهزمتْها، وحاول تتش أن ينتقم من بني كلاب، فقاد قواته لمهاجمة البدو العرب، ولكن ما إن بَعُدَ عن المدينة حتى هاجمت القوّات الموجودة فيها معسكره، وغنمت ما به، فأصبح موقف تتش حرجاً، واضطرّ لرفع الحصار عنها، وهكذا أخفقت خطة السّلطان السّلجوقي للوصول إلى حلب[48].

توجه تتش شرقاً قاصداً مهاجمة ديار مُسلم بن قُريش لأنّه كان وراء إخفاقه في اقتحام حلب، ولكنه بعدما عبر الفرات وجده قد جمع واستعدّ؛ لذا سار إلى ديار بكر، وأمضى الشّتاء فيها، وهو ينشر الخراب[49]، ولما كان الرّبيع عاود زحفه نحو حلب في شوال- ذي القعدة سنة 471هـ/ آذار- نيسان عام 1079م بمن جنّده من التّركمان، ولكنه أخفق في أخذها[50]، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى توجّه جنوباً، فتسلّم دمشق، وأسّس فيها حكماً لنفسه، فأصبحت مقدرات الشام في أيدي السلاجقة، فكيف جاءته الفرصة ليسيطر عليها؟.

---

[47] ابن العديم، زبدة، ج1، ص290؛ بغية، مج9، ص4079.

[48] ابن العديم، زبدة، ج1، ص293-294؛ بغية، مج9، ص4080؛ زكار، إمارة حلب، ص155.

[49] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص340؛ ابن العديم، بغية، مج9، ص4080.

[50] العظيمي، تاريخ حلب، ص 350؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص 294- 295؛ بغية، مج9، ص4080.

ثالثاً: تملّك تتش دمشق سنة 472هـ/ 1079م وبداية الحكم السّلجوقي المباشر في بلاد الشام:

جاءت الفرصة لتتشليسيطر على دمشق، وتأسيس دولة سلجوقية فيها إثر المحاولات الفاطمية لاستعادة نفوذهم فيها، فقد سيّر بدر الجمالي[51] بعد هزيمته لأتسز في مصر سنة 469هـ/1077م جيشاً فاطمياً إلى بلاد الشام لإعادة بسط السيادة الفاطمية عليها، فحاصر دمشق في سنة 471هـ/ 1079م بعد أن استولى على أعمالها وأعمال فلسطين[52]، مماالضطر أتسز إلى الاستنجاد بتتش، ووعده بتسليم المدينة إليه، وأن يكون تابعاً له، فرحب هذا الأخير بتلك الدعوة وزحف بعسكره نحوها، وما إن اقترب منها حتى فكّ الجيش الفاطمي الحصار عنها، وانسحب باتجاه السّاحل، فخرج أتسز لملاقاة تتش واستقباله، وسلّمه البلد، ولم تمضِ سوى أيام قلائل حتى تخلّص ذلك القائد السلجوقي من أتسز في ربيع الأول سنة 472هـ/ أيلول 1079م، وانفرد بذلك بحكم دمشق التي تسلّمها دون قتال[53]. وقد قدّمت بعض المصادر تفسيرات مختلفة حول سبب تخلّص تتش من

---

[51] بدر الجمالي أبو النجم أمير الجيوش (405- 487هـ/ 1014- 1094م): كان مملوكاً أرمنياً لجمال الدولة أبي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس، تولى دمشق أكثر من مرة، ثم صار أمير الجيوش بعكا، استدعاه الخليفة المستنصر إلى القاهرة لإنقاذ البلاد من الأزمات التي تمر بها سنة 466هـ/ 1074م، فأسند إليه الوزارة، فكان أول من وليها من أرباب السيوف، فانفرد بالسلطة، واستبدّ بالدولة، وحجر على المستنصر، توفي سنة 487هـ/ 1094م؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص394-402.

[52] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص182؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص 350؛ ابن عساكر، تاريخ، ج7، ص 348؛ ج11، ص 35؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص342؛ الصفدي، خليل بن أيبك (ت، 764هـ/ 1362م)،الوافي بالوفيات، (29 جزءاً)، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1420هـ- 2000م، ج10، ص233-234؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت، 732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، (4 أجزاء)، المطبعة الحسينية، ط1، القاهرة، 1325هـ، ج2، ص193؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص577؛ Bianquis, Damas, p649.

[53]العظيمي، تاريخ حلب، ص350؛ ابن عساكر، تاريخ، ج7، ص348-349؛ ج11، ص35؛ الصّفدي، خليل بن أيبك (ت، 764هـ/ 1362م)،تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تح: إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان، دار البشائر، ط2، دمشق، 1419هـ - 1999م، ص361؛ أمراء دمشق، ص40؛ الوافي، ج10، ص233-234؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص182- 183؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص268-269؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص72؛.Bianquis, Damas, p650. من الأهمية الإشارة إلى أنّ المصادر تختلف في سنة سيطرة تتش على دمشق، فبعضها يجعلها سنة 471هـ/ 1079م، وهناك من يجعلها سنة 472هـ، وقد تم اعتماد هذا التاريخ الأخير نظراً لأن ولاية أتسز على دمشق بدأت في ذي القعدة سنة 468هـ/ 1075م واستمرت أكثر من ثلاث سنين ونصف وواحد وعشرين يوماً حسب ما ذكر ابن عساكر، تاريخ، ج7، ص348-349؛ وبالتالي فإن نهايتها تكون سنة 472هـ/ 1079م؛ كذلك المقريزي ذكر أن قدوم تتش إلى دمشق كان سنة 472هـ؛ المقفى،ج2، ص399.

أتسز، فمنهم من ردّها إلى تصرفّات بدرتْ من أتسز، فاتُّخذت حجّةً للتخلّص منه، كما قال ابن القلانسي: "ولاحت له [تتش] منه أمارات استوحش به منه"[54]، فيما ذكرت بعض المصادر أن أتسز خرج يلتقيه عند سور البلد، ولم يبعد في تلقيه؟، مما أغاظ تتش، فقبض عليه في الحال، وقتله[55]، غير أن هذه التّفسيرات على أهميّتها لا تكفي لتعليل سبب تخلّصه منه، والراجح أن السبب الرئيس يعود إلى التّنافس على النفوذ بينهما، وإن هذا القائد السلجوقي أراد أن يتخلّص من نفوذ أتسز، وأن يُنهي دوره في حكم بلاد الشام، وربما قتله إرضاءً لأهل دمشق الذين تحمّلوا كثيراً من ظلمه وقسوته، فأراد بذلك التخلص أن يمحو الصورة القاتمة التي رسمها أتسز عن السّلاجقة في نفوس أهلها.وبهذا الحدث انتهى دور التركمان الناوكية، وبدأ الحكم السّلجوقي المباشر في بلاد الشّام، وأصبحت دمشق أوّل مدينة فيها تمركز تركي سلجوقي، ومنها أخذ يتمدّد لابتلاعها كلها، فلم تأتِ سنة 479هـ/ 1086م حتى كان الشام كله، عدا بعض مناطق الساحل الخاضعة للنّفوذ الفاطمي (ما بين طرابلس وعسقلان)، تحت النّفوذ السّلجوقي.

رابعاً: أعمال تتش العسكرية في بلاد الشام خلال المدة (472-479هـ/ 1079-1086م):

أسّس تتش في دمشق حكم أسرة آل تتشالّتي استمرتّ في حكم الشّام لأكثر من ثمانين سنة، وقد سعى بعدما سيطر عليها لتحقيق هدفين، وهما: بسط سلطانه على بلاد الشام بكاملها، وإنشاء دولة سلجوقية فيها يتولى حكمها بمعزل عن السّلاجقة العظام في خراسان وفارس[56]، فكيف سعى لتحقيق تطلعاته؟ وما الصّعوبات الي واجهته؟.

---

[54] تاريخ دمشق، ص182- 183.

[55] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص269؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص43؛ ابن خلدون، تاريخ، مج5، ص6.

[56] طقوش، تاريخ السلاجقة، ص130؛ إسماعيل، تاريخ السلاجقة، ص124.

1- تثبيت تتش نفوذه في جنوب بلاد الشام:

استغل تتش أيّ ظروف لصالحه، فبعدما استقل بحكم دمشق، انشق عنه الأفشين[57]، – وهو أحد القادة الأتراك الذين جاؤوا معه–، وذلك خشية أن يلاقي المصير الذي لاقاه أتسز، فغادر مع القسم الأكبر من العسكر التركي الذي رافق تتش، وتوجّه شمالاً مُنْزِلاً الخراب والنّهب في المناطق التي مرَّ بها، ودمّر معظم مدن شمال بلاد الشّام، ولجأ النّاجون منها إلى الموصل محتمين بشرف الدولة مسلم بن قريش العُقيلي[58]، ولا يعرف إن كان ما فعله الأفشين بأمر من تتش أم لا؟ وهل كان ضمن خطّة مسبقة متّفق عليها بينهما؟.

المهم أن تتش لما بلغه ما فعله ذلك القائد التركي أراد أن يستغل الظّرف السّائد في المناطق التي مرَّ بها، وألحق بها الخراب، ليمدّ نفوذه إليها، فقاد حملة وراءه مباشرةً بحجّة تعقّبه[59]، ويظهر أنه قصد حلب ليستولي عليها، فحاصرها أياماً، غير أنه عجز عن اقتحامها، فنهب القرى المحيطة بها، ثم عاد إلى دمشق[60]، وبذلك أخفق في وضع شمال بلاد الشام تحت سلطته، وانصرف بعدها إلى الاهتمام بإدارة المناطق التي يسيطر عليها، فأظهر العدل، فعمّرت البلاد وزُرِعَتْ، واهتمّ بنشر الأمن، وتأمين الطرق، والقوافل التّجارية، ولكنّه لم يغفل عن مدِّ نفوذه إلى كلّ المناطق التي كانت بيد أتسز؛ لذلك وجّه في سنة 472هـ/ 1079م بعض عسكره إلى القدس، "فحاصرها وبها أصحاب أتسز، وكان قريب له (اسمه ترمس)، في برج داود، ومعه قطعة من أمواله"[61]، غير أنّه لم ينجح في السّيطرة عليها، وبقيت القدس في يد ذلك القائد حتى سنة 475هـ/ 1082م

[57] لم يرد في المصادر سنة ميلاده ووفاته.

[58] ابن العديم، زبدة، ج1، ص297–299؛ "المناطق التي هاجمها الأفشين ونهبها هي: ضياع أعمال بعلبك، رفنية، قسطون، جبل السماق، جبل بني عليم، معرة النعمان، تل منس، معر تاح، أعمال حلب الجنوبية، أنطاكية".

[59] ابن العديم، زبدة، ج1، ص299؛ زكار، إمارة حلب، ص162.

[60] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص183؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص272.

[61] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص346.

عندما سار أرتق[62] من قبل تتش، وأقنعه بالتنازل عنها، وكان فيها خال أتسز وزوجته وابنته، "فلم يأمنوا المقام بأرض الشام، فساروا إلى بغداد"[63]، وبذلك أنهى آخر وجود لأتسز ورجاله في بلاد الشام.كما عمل تتش على فرض سيطرته على القبائل في مناطق نفوذه، ففي سنة 473هـ/ 1080م قبض على مسمارأمير بني كلب[64]، حين وقع على مكاتباتٍ متبادلةٍ بينه وبين مصر، فاستمرّ في سجنه حتى سنة 475هـ/ 1082م، حين أُفرج عنه بشفاعة أرتق بك[65].

---

[62] أرتق بن أكسب أو أكسك: جد الملوك الأرتقية، ينتمي إلى قبيلة الدقر التركمانية التي تنتسب إلى الغز، وإليه انتهت زعامتها، وكانت تلك القبيلة من جملة القبائل التركمانية التي انتظمت في صفوف القوات السلجوقية، وشاركت في بناء دولتها، وكان أرتق من مماليك السلطان ملكشاه، وقدم له خدمات عسكرية جليلة في فجر حياته السياسية، ثم جعله تحت إمرة أخيه تتش في الحملة السلجوقية التي توجهت إلى بلاد الشام، وشارك في حملة ابن جهير على الجزيرة سنة 477هـ/ 1084م، ثم ساعد ملكشاه في القضاء على تمرد أخيه تكش، ثم ترك خدمته والتحق بأخيه تتش في دمشق، فولّاه على القدس سنة 479هـ/ 1086م، فبقي عليها حتى توفي سنة 484هـ/ 1091م، فخلفه ولداه سكمانوإيلغازي؛ ابن خلكان، وفيات، مج1، ص191؛ خليل، عماد الدين، الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام،مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1400هـ- 1980م، ص57-68.

[63]سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص363.

[64] مسمار بن سنان بن عليان الكلبي: أحد أمراء قبيلة كلب اليمانية في جنوب بلاد الشام، شغل دوراً مؤثراً في الأحداث الجارية في دمشق أواخر العصر الفاطمي، ومطلع العصر السلجوقي، فقد وقف إلى جانب أهلها عندما ثاروا ضد الوالي الفاطمي بدر الجمالي سنة 458هـ/ 1066م، فأغار بعربه على قصر السلطنة بظاهر دمشق، ولكنه فيما بعد تخلف عن مساعدتهم، وانحاز إلى الجند الفاطميين، وبعدما سيطر أتسز على دمشق، كان مسمار الكلبي من المؤيدين له؛ لذلك لما زحف باتجاه مصر استخلفه على دمشق في مئتي فارس من العرب، ولما عاد أتسز مهزوماً إليها، ضرب له ذلك الأمير الكلبي المضارب في ظاهرها لينزل بها؛ غرس النعمة، عيون التواريخ، ص242- 244، 340؛ بيطار، أمينة، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دار دمشق، ط1، دمشق، 1400هـ- 1980م، ص158- 163.

[65] غرس النعمة، عيون التواريخ، ص363، 374؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص 351، 363؛ ابن تغري بردي، يوسف (ت، 874هـ/ 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (16 جزءاً)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1413هـ- 1992م، ج5، ص114.

2- الصراع بين تتش ومسلم بن قريش العُقيلي:

كانت السّيطرة على حلب أحد الأهداف الرئيسة لتتش بعدما استولى على دمشق؛ لذلك توجّه للسيطرة عليها، فحاصرها عدة مرات، فقد سلفت محاصرته إيّاها أثناء ملاحقته الأفشين سنة 472هـ/1079م، ولما كانت سنة 475هـ/1082م أعاد الكرّة نحوها، وكانت حلب آنذاك وشمال بلاد الشام قد صارت بيد مسلم بن قريش أمير الدولة العُقيلية[66] الذي سيطر عليها، وأنهى دولة بني مرداس فيها سنة 473هـ/ 1080م، وبدأ يسعى لإقامة دولة عربية تشمل الجزيرة والشام مع أجزاء واسعة من العراق[67]، وهكذا فقد تنازعمشروعان للسّيطرة على بلاد الشام: أحدهما تركي- سلجوقي يقوده تتش، ويسعى للسيطرة عليها كلها، وثانيهما: عربي بقيادة مسلم العُقيلي الذي وحّد بين الجزيرة وشمال بلاد الشام، وأخذ يعمل لجعل بلاد الشام تحت سيطرته، وفي سبيل ذلك كان عليه أن يزيل جميع الإمارات الصغيرة الموجودة في منطقة نفوذه، ويجعل جميع القوى تتّحد تحت رايته؛ لذلك عمد بعد أن استولى على حلب إلى قصد حران، وأخذها[68]، ومدَّ نفوذه إلى حماة وحمص، وقام بتجريد أمراء الأسرة المرداسية من أملاكهم[69]، كما استولى على جميع الحصون والقرى التي كانت بأيدي التّركمان في شمالي بلاد الشام، وقبض على جميع التركمان هناك، وحال بينهم وبين الدخول إلى أراضيه

---

[66] الدولة العقيلية: أقامها بنو عُقيل، وهم قبيلة من قبائل عامر بن صعصعة من العرب العدنانية، هاجروا من الجزيرة العربية إلى البحرين، ومنها انتقلوا إلى العراق، فتغلبوا على الموصل، وأقاموا فيها دولتهم على أنقاض الدولة الحمدانية، واستمرت دولتهم أكثر من قرن من= =الزمن ما بين (380- 489هـ/ 990- 1096م)، قضى عليها السلاجقة؛ المعاضيدي، خاشع، دولة بني عقيل في الموصل، مطبعة شفيق، ط1، بغداد، 1968م، ص31، 41-42، 48- 61.

[67] العظيمي، تاريخ حلب، ص351؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص303؛ بغية، مج9، ص4081-4082، 4084؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص273؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص194؛ زكار، مدخل، ص183؛ Salibi, Syria under Islam, p139.

[68] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص279، (أخذ حران من بني نمير).

[69] كان من أمراء بني مرداس الذين استولى على أملاكهم: شبيب ووثاب ابني محمود بن نصر، إذ أخذ منهما قلعتي اعزاز والأثارب، وعوضهما الخاتونيةوقرقيسيا ودوراً من أعمال الرحبة؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص 303؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص366.

ولو مروراً [70]، وتوّج أعماله بأن مدّ نفوذه إلى مدينتي الرّها في شرق حلب، وأنطاكية في غربها، وكانتا من أملاك الإمبراطورية البيزنطية [71]، وأخذ يعدّ العدّة للتوجّه نحو دمشق، وطرد تتش منها.

لم يكن تتش غافلاً عن مخاطر توسّعات مسلم بن قريش وأهدافه، بل كان يتحضّر للانتقام منه، والتصدّي له، فهو لم ينسَ دوره في إخفاق حصاره لحلب سنة 470هـ/ 1078م، وزاد من حنقه عليه قيام الأمير العُقيلي بُعيد السيطرة على حلب، بانتزاع الحصون في أعمالها التي كانت في أيدي أصحاب تتش[72]، كما امتنع عن إرسال الأموال التي أمره ملكشاه بمنحها لتتش[73]؛ لذلك كان يتحين الفرصة للتوجّه إلى حلب، وانتزاعها من مسلم العُقيلي، وشعر أن تلك الفرصة جاءته إثر قيام بعض أمراء الشام بشكاية أحوالهم له، وما لحقهم من غبن بسبب تجريد الأمير العُقيلي لهم من أملاكهم، وعرضوا عليه التعاون، وأطمعوه في أخذ حلب، وطرد مسلم العُقيلي من بلاد الشام[74].

دفعت مجموع العوامل السّالفة القائدتتش للتحرك نحو حلب في سنة 475هـ/ 1082م، كذلك تجمّعت قوّات الأمراء العرب المتحالفة معه، وتحرّكَتْ شمالاً، فاستولت على حماة ومعرة النعمان، فيما قصد تتش ناحية أنطاكية، وأخذ قائده أرتق بشنّ الغارات على حلب، ولكن لم يطل الوقت حتى اضطر تتش إلى إيقاف غاراته والعودة إلى دمشق، وعلى الرغم من أن سبط ابن الجوزي أرجع ذلك الانسحاب إلى كُتُبٍ وردت من

---

[70] ابن العديم، زبدة، ج1، ص307، (ذكر الحصون والقرى التي كانت بيد الأتراك وأخذها منهم وهي: بيت لاها، وتل أعذى، وهاب، وكفرنبل)؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص366؛ زكار، مدخل، ص187.

[71] ابن العديم، زبدة، ج1، ص 316؛ زكار، مدخل، ص187-188؛ Salibi, Syria under Islam, p 142.

[72] ابن العديم، زبدة، ج1، ص305.

[73] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص367.

[74] قال ابن العديم: "فأجمع رأي وثاب وشبيب ابني محمود، وخلف بن ملاعب الأشهبي صاحب حمص، وأبي الحسن بن منقذ، ومنصور بن الدّوح على مكاتبة الملك تاج الدولة بدمشق، وشكوا أحوالهم، وعرضوا عليه خدمتهم، وأطمعوه في الشام"؛ زبدة، ج1، ص308.

السلطان ملكشاه إلى أخيه تتش "بأن يرجع إلى دمشق، ولا يقيم ببلد حلب"[75]، غير أن السبب الحقيقي لانسحابه يعود إلى خبرٍ وصله عن تحرك الأمير العُقيلي بقواته نحو دمشق، وقد أجبر ذلك التحرك السريع تتشوحلفاءه للانسحاب كل منهم إلى بلده وموقعه الحصين للدّفاع عنه ضد مسلم بن قريش[76].

وصل مسلم بن قريش دمشق في أواخر محرم سنة 476هـ/ حزيران عام 1083م، فحاصرها، وكانت قوات تتش لما عاد إليها ضعيفة بسبب مفارقة أرتق بك له بأمر السلطان الذي أمره بالعودة إلى بابه، فلم يكن معه من العسكر من يخرج بهم للتّصدّي له[77]، فاستمرّ الأمير العُقيلي محاصراً لها ما يقرب الشهر دون أن يتمكن من السيطرة عليها، مما اضطّره لرفع الحصار والانسحاب شمالاً، ولما وصل حمص صالَحَ صاحبها خلف بن ملاعب[78] ليجعل منه فاصلاً بين أملاكه في شمال الشام وبين تتش في دمشق "لما يعلمه من نكايته في الأتراك وفتكه بمن يظفر به من أبطالهم الفتّاك"[79]، فما الأسباب التي ساعدت تتش في الدفاع عن دمشق والاحتفاظ بها، وأدّتْ إلى إخفاق الأمير العُقيلي في انتزاعها منه؟.

الواقع أن هناك أسباباً متعددة، ويخصّ بعضها تتش وقوّاته التّركمانية، فيما يتعلق بعضها الآخر بمسلم بن قريش وقوّاته وأوضاع دولته، وتتمثل تلك الأسبابالآتي:مقاومة

---

[75] مرآة، ج19، ص367.

[76]ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص185؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص308- 309؛ ابن خلدون، تاريخ، مج5، ص7؛ زكار، مدخل، ص189؛ إمارة حلب، ص167.

[77]سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص367- 368، 373.

[78]خلف بن ملاعب الأشهبي الملقب سيف الدولة: أصله من قبيلة من بني كلاب يقال لها الأشهب، استولى على مدينة حمص في سنة 468هـ/ 1075م، ومدّ نفوذه على أفامية، كان موالياً للفاطميين، حاربه تتشوحلفاؤه، فقبضوا عليه، وأرسلوه إلى السلطان ملكشاه، فسجنه بأصفهان، وبقي مسجوناً حتى توفي ذلك السلطان، فأطلقته زوجته خاتون، فمضى إلى القاهرة، وبقي فيها حتى قُلّد أفامية سنة 489هـ/ 1096م، فاستمر يحكمها حتى قتل سنة 499هـ/ 1105م؛ ابن العديم، بغية، مج7، ص3354-3359؛ المقريزي، المقفى، ج3، ص763-766.

[79]ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص186-187.

تتش الفعّالة، وقيامه بالهجمات المفاجئة على بعض القوّات المحاصرة، فيهزمها ثم يعود، فيتحصّن بالمدينة[80]، وتفوّق التّركمان على العرب في فنون القتال، فقد أجادوا استخدام الأقواس، كما كانوا متفوقين في الرّوحالقتاليّة، فكان لديهم إقدام البدو وقسوتهم، في حين كان العرب بعيدي العهد بالبداوة، وشاغلهم الدنيا ومتاعها[81].وفقدان التّجانس القبلي لقوات مسلم، التي ضمّت عناصر من مختلف قبائل بلاد الشام، ولكن تلك القبائل لم تكن مُخْلِصة له باستثناء العُقيليين[82].

وعدم وفاء الخلافة الفاطمية بوعودها للأمير العُقيلي، وإرسال جيش لمساعدته في حصار دمشق والإطباق عليها. وكان السبب الأبرز الذي أقلق مسلماً، هو: قيام ثورة في حرّان ضدّه بهدف إنهاء الحكم العُقيلي لها، وتسليمها للتّركمان، مما اضطرّه لرفع الحصار عن دمشق، والعودة مسرعاً للقضاء على تلك الثورة[83]؛وبذلك حافظ تتش على حكمه فيها، وأخذ في التوسّع، ففي السنة نفسها تسلّم قلعة بعلبك[84]، وسار إلى ناحية طرابلس، وافتتح أنطرسوس[85] وبعض الحصون[86]، "وقيل: إنه قصد حلب، فلم يظفر منها بطائل"[87].

---

[80]ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص186.

[81]زكار، مدخل، ص189- 190.

[82]ابن العديم، زبدة، ج1، ص309، (كان فيها: عقيل وكلاب ونمير وطيء وكلب وعُليم، كما ضمت أعداداً من أكراد الجزيرة).

[83]العظيمي، تاريخ حلب، ص352؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص186؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص372-373؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص284؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص309-310؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت، 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، (20 جزءاً)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، القاهرة، 1419هـ- 1998م، ج16، ص85.

[84]العظيمي، تاريخ حلب، ص352؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص372؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص115، "وكان يتولى بعلبك ابن الصقيل من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر، وسلّمها لتتش سنة 476هـ".

[85] أنطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية، وأول أعمال حمص؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص270.

ولما كانت سنة 477هـ/ 1084م هُزم مسلم بن قريش هزيمةً قاسيةً في آمد أمام الحملة التي أرسلها ملكشاه للاستيلاء على الجزيرة[88]، ولكنّ نجاته بحياته غيّر موازين القوى، وخروج تكش أخي ملكشاه عليه بخراسان طالباً السلطنة، ما دفع ذلك السلطان إلى صنع تسوية مع الأمير العُقيلي، فأعاد له كلّ أملاكه الشاميّة والجزرية[89]، ويظهر أن تتش أراد أن يستغلّ آثار تلك الضّربة التي تلقّتها الدولة العُقيلية ليمدّ نفوذه إلى حلب، فخرج نحوها، ولكنه لم يتابع إليها بسبب توجّه قوّات عقيلية إليها للدّفاع عنها، ولأن أخاه ملكشاه كتب إليه بأن لا يتعرض إلى مناطق مسلم بن قريش، وبسبب ما ورده من أنباء عن توجّه جيش فاطمي نحو بلاد الشام[90].فكانت هذه آخر محاولات تتش للسّيطرة على حلب، وهي تحت الحكم العُقيلي، ولم يطل الوقت حتى توجّه من جديد نحوها، وكان التّنافس للسّيطرة عليها قد صار بين السّلاجقة أنفسهم، وكان المنافس السّلجوقي عليها هو سليمان بن قتلمش، فمن هو؟ وكيف وصل إليها؟ وما نتيجة الصّراع بينه وبين تتش؟.

---

[86] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص187؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص 352؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص113، (حوادث سنة 474هـ)؛ Salibi, Syria under Islam, p 143.

[87] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص372.

[88] كانت الحملة التي أرسلها ملكشاه بقيادة فخر الدّولة محمد بن أحمد بن جهير، وهدفها السيطرة على ديار بكر والقضاء على الدولة المروانية، وعندما وصلت أنباؤها أدّت إلى قيام تحالف بين قوتي الجزيرة المتخاصمتين أي الدولة المروانية والدولة العقيلية التي كانت بقيادة مسلم بن قريش العقيلي؛ للمزيد عن هذه الحملة: ابن الأثير، الكامل، ج8، ص286، 290-291؛ الفارقي، أحمد بن يوسف (ت، بعد 572هـ/ 1176م)، تاريخ الفارقي. تح: بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1379هـ- 1959م، ص208-212، 219-221؛ الأصفهاني، محمد بن محمد العماد (ت، 597هـ/ 1200م)، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار: الفتح بن علي البنداري (ت، 643هـ/ 1245م)، شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1318هـ- 1900م، ص70.

[89] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص292.

[90] ابن العديم، زبدة، ج1، ص313؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص5.

3- الصراع بين تتشوسليمان بن قتلمش:

سليمان بن قتلمش: هو سليمان بن شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق، وهو من الأسرة السلجوقية، وكانت علاقة والده قتلمش مع ابن عمّه السّلطان ألب أرسلان قد وصلت في أوائل سنة 456هـ/1063م درجة العصيان العلني، فسار السّلطان، وسحق جيوش قتلمش في معركة قرب الري[91]، وانجلت المعركة عن مصرعه[92]، فبدأت القطيعة بين ذينك الفرعين السلجوقيين الكبيرين، وبدأ أبناء قتلمش يفتشون عن ملك خاص بهم بعيداً عن أولاد عمّهم في إيران، فقصدوا منطقة الأناضول في آسيا الصغرى، وعملوا على الاستقرار فيها مستغلّين ظروف البيزنطيين المضطّربة، فاستولى سليمان بن قتلمش على قونية[93]، وأقام لنفسه سلطنةً خاصّةً عُرفت باسم سلطنة سلاجقة الروم[94]، ثم اتّجه للتوسّع في غربي آسيا الصّغرى وجنوبها، فانتزع أنطاكية من البيزنطيين سنة 477هـ/ 1084م، وبدأ يتطلع للسّيطرة على حلب التي كانت تتبع لمسلم بن قريش العُقيلي، مما أدى إلى الصّراع بينهما الذي انتهى بمقتل مسلم في المعركة التي جرت بينهما غرب حلب سنة 478هـ/ 1085م[95]، وبموته أُزيحت القبائل العربية عن مسرح الأحداث المؤثّرة في تاريخ بلاد الشام، وانتقل الحكم فيها من أيدي العرب إلى التّركمان،

---

[91] الرَّي: مدينة مشهورة بالمشرق، كانت قصبة بلاد الجبال، ومحط الحاج على طريق السابلة؛ الحموي، معجم البلدان، مج3، ص116.

[92] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص192-193؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص61- 62.

[93] قونية: من أعظم مدن الإسلام بالروم، كانت عاصمة سلاجقة الروم (1081- 1302م)، وهي الآن مدينة تركية في الأناضول؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص415؛ المنجد في اللغة والأعلام، قسم الأعلام، ص444.

[94] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص72؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص195؛ مصطفى، في التاريخ الشامي، ج2، ص141؛ طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ص138.

[95] العظيمي، تاريخ حلب، ص 353؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص313-317؛ بغية، مج1، ص87، 480- 482؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص6؛ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت، 665هـ/ 1268م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، (4 أجزاء)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ-2002م، ج1، ص139- 140؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص195- 196؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص90.

فصار الصّراع على السّيادة فيها بين التّركمان السّلاجقة أنفسهم[96]، وكان أول ذلك، الصّراع بين سلاجقة الرّوم بقيادة سليمان بن قتلمشوتتش بن ألب أرسلان، فكيف جرى الصّراع بينهما؟.

تقدم سليمان بن قتلمش عقب انتصاره على مسلم بن قريش ومقتله، وحاصر حلب، وكانت إدارتها منذ أيام مسلم بيد أبي علي الحسن بن هبة الله الهاشمي المعروف بالحتيتي مقدم الأحداث[97] فيها، وشاركه في إدارتها سالم بن مالك العُقيلي[98] ابن عم مسلم الذي عيّنّه حاكماً على القلعة، ولما فرض ابن قتلمش الحصار عليها، قام الشريف الحتيتي وسالم بن مالك بمراسلة السلطان ملكشاه، وأعلماه بمصرع مسلم بن قريش، ودعوه للقدوم إلى حلب ليتسلّمها[99].

ولمّا لم يكن للحتيتي قلعة في حلب،عمّر قلعةً لنفسه، عُرفت باسم "قلعة الشريف"، وفيها استقرّ مع أحداثه[100]، أما سليمان بن قتلمش، فقام بترميم قلعة قنسرين واستقرّ

---

[96] زكار، مدخل، ص200- 201.

[97] الأحداث: هي تنظيمات اجتماعية شعبية شبه عسكرية، برزت في أوقات ضعف السلطة واضطراب الأوضاع، كانت وظيفتهم مماثلة لوظيفة الشرطة من حيث المحافظة على النظام وفرض الأمن والهدوء، وقد شغلت دوراً مهماً ومؤثراً في تاريخ بلاد الشام نحو قرنين من الزمن من أواسط القرن 4هـ/ 10م، حتى أواسط القرن 6هـ/ 12م؛ حول الأحداث ودورهم: مصطفى، شاكر، الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العددان 3- 4، 1973م، ص174- 223؛ كاهن، كلود، الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى، ترجمة: علي مقلّد، مجلة الاجتهاد، بيروت، دار الاجتهاد، العدد السادس، 1410هـ- 1990م، ص105- 206؛ Bianquis, Damas, P. 20–23.

[98] سالم بن مالك بن بدران العقيلي: ولّاه مسلم بن قريش العقيلي إدارة حلب بحكم ما بينهما من النسب لما سيطر عليها، فاستمر يتولاها بُعيد مقتل مسلم حتى وصول ملكشاه إليها سنة 479هـ/ 1086م، فتسلّمها منه، وعوّضه عنها قلعة جعبر، وأقطعه الرقة وعدة ضياع، توفي سنة 519هـ/ 1125م؛ ابن العديم، بغية، مج9، ص4157-4159.

[99] ابن العديم، المصدر نفسه، مج9، ص4157؛ Salibi, Syria under Islam, p 144.

[100] العظيمي، تاريخ حلب، ص353؛ ابن العديم، بغية، مج1، ص54- 55؛ ابن شداد، محمد بن علي (ت، 684هـ/ 1285م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، (3 أجزاء)، تح: يحيى عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، 1991م، ج1، قسم أول، ص64- 65؛ ابن الشحنة، محمد بن محمد (ت، 890هـ/ 1485م)، الدُرُ المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبد الله الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، 1404هـ- 1984م، ص35.

بها، واستمرّ محاصراً لحلب، وفي الوقت نفسه أخذ يعمل على احتلال الأراضي والبلدان الجنوبية التّابعة لها، وإزاء استمرار حصاره لها، وتأخّر وصول ركب السلطان ملكشاه إليها أو وصول نجدة من قبله، اضطر الشريف الحتيتيمكرهاً إلى مراسلة تتش يستدعيه إلى حلب ليتسلمها[101]، وما إن وصلت دعوته إلى تتش حتّى تحرّك مسرعاً في المحرم سنة 479هـ/ نيسان عام 1086م، ومعه أرتق بك وأتباعهما من التركمان، وانضمّ إليه جماعةٌ من بني كلاب، فدارت بينه وبين ابن قتلمش معركةٌ عنيفةٌ أسفرت عن مقتل الأخير وانهزام أتباعه، واستولى تتش على معسكره[102]، فكانت هذه أول معركة يتقاتل فيها جيشان سلجوقيان للسّيطرة على إحدى مناطق بلاد الشام، وأدّت إلى وضع حلب لأوّل مرة تحت الحكم السّلجوقي المباشر، فكيف جرى ذلك الحدث؟.

4- محاولة تتش السيطرة على حلب سنة 479هـ/ 1086م:

تقدم تتش نحو حلب بعد النصر الذي حققه على ابن قتلمش، وهو يأمل أن يجد بواباتها مفتوحةً لاستقباله، ولكنّه فوجئ بأنها مغلقة من قبل الشريف الحتيتي وأحداثه، وعندما استوضح عن السبب، جاءه الجواب من الحتيتيأنّ كُتَبَ السلطان ملكشاه وردت، وهو قريب الدنوّ من حلب، وهو يحظر تسليمها لأحد غيره، ولكنتتش لم يقتنع بالجواب، بل فرض الحصار على المدينة، ولم يطل الوقت حتى تمكّن من دخولها، بمساعدة بعض التجّار فيها الذين كانوا يكرهون الشريف الحتيتي، فدخلها في 26 ربيع الأوّل سنة

[101]ابن العديم، زبدة، ج1، ص319-320؛ (استولى سليمان شاه على معرة النعمان وكفر طاب ولطمين)؛ بغية، مج1، ص73؛ ابن خلدون، تاريخ، مج5، ص9؛ Salibi, Syria under Islam, p 145.

[102]العظيمي، تاريخ حلب، ص353؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص7؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص320؛ بغية، مج9، ص4157؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص140؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص197؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص63؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص102؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص122.

479هـ/ 11 تموز 1086م[103]، ولم تمضِ سوى أيام قلائل حتّى تمكّن من السيطرة على قلعة الشريف، ونفى الحتيتي إلى بيت المقدس[104].

أما بالنسبة للقلعة الكبيرة، فكان يتولّاها سالم بن مالك العُقيلي الذي أعلن أنه لن يسلّمها إلّا للسّلطان ملكشاه التزاماً بالوصية التي أوصاه بها مسلم بن قريش، فركز تتش حصاره عليها، وبعد شهر من حصاره لها وصلت إلى أطراف حلب طلائع قوّات السّلطان ملكشاه، لذا آثر تتش عدم الاصطدام بأخيه أو اللقاء به، فقام بجمع قوّاته، وانسحب عائداً إلى دمشق[105]، وبذلك أخفق مرة أخرى في وضع بلاد الشام بأكملها تحت سلطته، فيما وصل السلطان ملكشاه إلى حلب في 23 شعبان سنة 479هـ/ 3 كانون الأول عام 1086م، فتسلّمها دون قتال، وتسلّم قلعتها الكبيرة[106]، ثم تابع نحو أنطاكية فتسلّمها، وأقطعها للأمير ياغي سيان، ومنح حلب لقسيم الدّولة آقسنقر التركي[107]، وعين بوزان حاكماً على الرُّها[108]. وبإقطاع ملكشاه شمال بلاد الشام والجزيرة لقواد من أتباعه، يكون قد حرم تتش من بسط نفوذه على المنطقة كلّها، مما أثار

---

[103] العظيمي، تاريخ حلب، ص354؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص321-322.

[104] ابن العديم، زبدة، ج1، ص322؛ ابن خلدون، تاريخ، مج5، ص9- 10.

[105] ابن العديم، بغية، مج9، ص4157؛ زبدة، ج1، ص322- 323؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص7؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص140؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص197؛ ابن خلدون، تاريخ، مج4، ص331؛ مج5، ص10.

[106] العظيمي، تاريخ حلب، ص354؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص324؛ بغية، مج1، ص 552؛ مج9، ص4158-4159؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص140؛النويري، نهاية الأرب، ج26، ص187.

[107] أشار ابن الأثير إلى أن قسيم الدولة آقسنقر كان من أصحاب السلطان ملكشاه، وممن ربي معه في صغره وصحبه إلى حين كبره، فلما أفضت السلطنة إليه، رعى لقسيم الدولة صحبته، فجعله من أعيان أمرائه، ووثق به وثوقاً حسده عليه سائر أمرائه وأجناده حتى إن نظام الملك صار يتقيه، فأشار على السلطان بأن يوليه حلب وأعمالها، ويضيف إلى حكمه غيرها من البلاد الشامية؛ التاريخ الباهر، ص4.

[108] ابن العديم، زبدة، ج1، ص324؛ بغية، مج4، ص1954، 1956؛ مج5، ص2413؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص7-8؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص72؛ الراوندي،راحة الصدور، ص203؛ Salibi, Syria under Islam, p 147.

استياءه، ولكنّه على الرغم ذلك اضطرّ إلى إرسال رسله إلى أخيه السّلطان معلناً الولاء والطاعة له، وطالباً تثبيته على إقطاعه، "أو ينصرف إلى مكان يأمن فيه، فأجابه السّلطان بما يُطِّيب قلبه"[109]، ويظهر أنه أقرّه على ما في يده من أملاك. وبحملة ملكشاه أصبحت الشّام والجزيرة تحت الحكم السلجوقي المباشر، وأجزاء من الإمبراطورية السّلجوقية الواسعة، وبدأ عصر جديد في تاريخهما، هو عصر الحكم السّلجوقي المباشر.

خامساً: أعمال تتش العسكرية في بلاد الشّام خلال المدة (479- 485هـ/ 1086- 1092م):

لا يُعرف كثيرٌ عن طبيعة حكم تتش في دمشق وأوضاع جنوب بلاد الشام التّابع له؛ نظراً لأنّ المصادر المتوافرة ركزت على أعماله العسكرية التوسعيّة وعلاقاته الخارجية مع القوى المجاورة له، التي تتوزع السيادة على بلاد الشام ممثّلةً بقواد ملكشاه في الشّمال، والخلافة الفاطمية والقوى المحلية في المنطقة الساحلية.

1- علاقة تتش بالقوى المحلية المستقلة في المدن الساحلية والفاطميين:

كانت السيادة على المدن السّاحلية تتوزع ما بين الخلافة الفاطمية وقوى محلية مستقلة عنها لاسيما مدينتا صور وطرابلس اللتان خرجتا على طاعة الفاطميين منذ سنة 462هـ/ 1070م، وكانتا في أيدي قضاتهما (آل عقيل في صور، وآل عمار في طرابلس[110])، وقد عمد قاضيا المدينتين إلى اتّباع سياسة المهادنة تجاه الأتراك

[109] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص405.

[110] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص219؛ استقل القاضي عين الدولة ابن أبي عقيل في صور سنة 462هـ/ 1070م، واستمرّت تلك المدينة بأيدي آل عقيل حتى جاء جيش فاطمي واستعادها سنة 482هـ/ 1089م؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص165، 197؛ آل عمار: أسرة عربية، أقامت إمارة مستقلة لها في طرابلس سنة 462هـ/ 1070م، واستمرت حتى سقطت بأيدي الصليبيين سنة 502هـ/ 1109م؛ عن هذه الإمارة: سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1966م، ص63- 131؛ الشيخ، محمد، الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، الإسكندرية، 1980م، ص191- 278.

السلاجقة، فكانا يصانعانهم بالهدايا والملاطفات[111] في محاولة لتجنيب مدينتيهما الاصطدام المباشر معهم، وللمحافظة على استقلالهما أمام الخلافة الفاطمية التي كانت تسعى لإعادة المدينتين إلى سيطرتها المباشرة[112]؛ ولكن جلال الملك ابن عمار[113] قاضي طرابلس لم يتعدَّ في تقرّبه من السّلاجقة حدّ تقديم الهدايا، وما يُطلب منه من مساعدات إلى الخضوع السياسي لهم، ومن ناحية أخرى وطّد علاقته بتتش حتّى أضحى مسموع الكلمة لديه، ومن ذلك أن تتش عندما عزم على مصاهرة بدر الجمالي المتحكم بالخلافة الفاطمية سنة 476هـ/ 1083م، أشار عليه ابن عمّار بألّا يفعل، فثنى عزمه عن ذلك على الرّغم من الهدايا والملاطفات التي وردت عليه من مصر[114].

كان من أبرز مشكلات تتش؛ علاقته مع الفاطميين الذين لم ينصرفوا عن مواصلة جهودهم لاستعادة نفوذهم في بلاد الشام، وسيطرتهم على مدنها، ففي سنة 478هـ/ 1085مقصد بدر الجمالي دمشق على رأس حملة، فحاصرها حصاراً شديداً، ودار بينه وبين صاحبها تتش قتال، لكنّه لم يتمكّن من التغلّب عليه، مما اضطرّه للانسحاب والعودة إلى مصر[115].

وبعد قدوم السلطان ملكشاه إلى شمال بلاد الشام سنة 479هـ/ 1086م، وقيامه بتعيين ولاة من قبله على حلب وأنطاكية والرها، عاد تتش إلى دمشق، فلم يقنع بالمناطق التي يسيطر عليها، بل طلب من السلطان أن يطلق يده في بلاد الشام لتقويض ما بقي منها بيد الفاطميين، والتصدّي لهم لاسيّما بعدما استعادوا السيطرة على كثير من مدن

---

[111] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص182.

[112] طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ص150.

[113] جلال الملك أبو الحسن علي بن عمار: يعدّ أبرز أمراء بني عمّار في طرابلس، حكم بين 464- 492هـ/ 1071-1098م، وفي أيامهبلغت إمارة بني عمار أوج اتساعها، إذ امتدت من جبلة شمالاً إلى مشارف بيروت جنوباً؛ الشيخ، الإمارات العربية، ص202- 209؛ سالم، طرابلس الشام، ص68-72.

[114] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص375؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص115.

[115] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص300؛ ابن خلدون، تاريخ، مج5، ص7.

الساحل، وضايقوا دمشق، ولتوسيع نطاق إقطاعه على حساب الإمارات المستقلة هناك، وقد أجابه السلطان إلى طلبه، بأن أمر آقسنقر والي حلب، وبوزان صاحب الرها بمساعدته على ذلك[116]. ويبدو أن أوامره لم تنفذ، فلم يذهب القائدان لمساعدته، كما لم يقم هو بأي عمل عسكري ضد مدن الساحل[117]، ولكن هذه الأوضاع تبدّلت سنة 482هـ/ 1089م عندما جاء جيش فاطمي إلى الساحل الشامي، فسيطر على صيدا وصور وجبيل، وقصد عكا، وكان تتش قد ملكها، فاستولى عليها، وقتل جماعة من أصحابه، وأخذ كثيراً من ذخائره[118]، وأصلح أحوال تلك المدن، وعين عليها الأمراء والعمال[119]، ثم تقدّم ذلك الجيش إلى بعلبك، فحاصرها، وفي أثناء الحصار وصل إلى المعسكر الفاطمي خلف بن ملاعب صاحب حمص وأفامية، فاجتمع بقائد الجيش الفاطمي، وأعلن الولاء والطاعة للخلافة الفاطمية وسيادتها عليه[120]، فاتفق الطرفان على بسط السيادة الفاطمية على بلاد الشام بكاملها؛ممّا شكّل تهديداً مباشراً للنّفوذ السّلجوقي فيها، فجدّد تتش الاستنجاد بأخيه، كما وصلت إلى السلطان شكاوى كثيرة ضد خلف بن ملاعب من ولاة الشام وأهلها بسبب ما كان يقوم به من قطع الطريق وإرعاب المارة[121].

---

[116] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص414، (أحداث سنة 380هـ)؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص123؛ الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص65- 66.

[117] زكار، مدخل، ص216؛ إمارة حلب، ص188.

[118] العظيمي، تاريخ حلب، ص354-355، (ذكر أن تاج الدولة سيطر على صيدا سنة 380هـ، وفي سنة 382هـ سيطر الترك على صور من يد بني عقيل)؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص197؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص145؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص126.

[119] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص329- 330.

[120] المقريزي، إتعاظ، ج2، ص146؛ Salibi, Syria under Islam, p 149.

[121] ابن العديم، زبدة، ج1، ص 328؛ بغية، مج7، ص3354؛ المقريزي، المقفى، ج3، ص764؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص43؛ Salibi, Syria under Islam, p 149- 150.

2- استيلاء السلاجقة بقيادة تتش على حمص:

في إثر استنجاد تتش، أمر السلطان ملكشاه ولاته في بلاد الشام أن يجتمعوا إلى جانب أخيه تتش للقيام بعمل تأديبي ضد خلف بن ملاعب بحمص، ثم التوجه نحو مدن الساحل الخاضعة للفاطميين وانتزاعها منهم، وتنفيذاً لأمر السلطان تحركت قوات كل من آقسنقر صاحب حلب، وياغي سيان صاحب أنطاكية، وبوزان أمير الرها، وانضمت إلى تتش، فحاصرت القوات المتحالفة حمص، وضيقت عليها حتى اضطر ابن ملاعب للاستسلام، فقُبض عليه، وأرسل إلى السلطان[122]. وقد طلب كل واحد من الأمراء حمص لنفسه، فكتبوا للسلطان بذلك، فأعطاها لأخيه تاج الدولة تتش[123]، وهذا ما زاد من استياء بقية القواد وخصوصاً آقسنقر وبوزان اللذين انضمّا إلى حملة تتش مكرهين، وأدركا أنه سوف ينفرد بحكم المناطق التي سيتم الاستيلاء عليها، وسوف يكون موقفهما المستاء وعدم اندفاعهما بشكل جدّي في حملة تتش من أسباب عدم نجاحه في تحقيق خططه كاملة [124].

3- حصار السلاجقة بقيادة تتش طرابلس:

بعد السيطرة على حمص، واصلت القوات المتحالفة مهمتها، فزحفت باتجاه عِرقة[125] التي كانت تابعة لبني عمّار حكّام طرابلس، فاستولت عليها[126]، ثم زحفت باتجاه طرابلس نفسها، وفرضت عليها الحصار في سنة 484هـ/ 1091م، وقد وجد جلال الملك بن عمار نفسه في موضع حرج، ورأى جيشاً لا يُدفع إلا بحيلة؛ لذلك أبرز وثائق مزورة باسم السلطان ملكشاه، وفيها يعترف بسلطانه على طرابلس، عندئذ توقف

---

[122] العظيمي، تاريخ حلب، ص355؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص198؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص328؛ بغية، مج7، ص3354- 3356؛ المقريزي، المقفى، ج3، ص764؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص141.

[123] ابن العديم، بغية، مج7، ص3355.

[124] زكار، مدخل، ص216؛ طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ص152.

[125] عِرقة: بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ؛ الحموي، معجم البلدان، مج4، ص109.

[126] العظيمي، تاريخ حلب، ص355؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص202؛ ابن خلدون، تاريخ، مج5، ص13.

آقسنقر عن القتال، وقاللتتش: "لا أقاتل مَنْ هذه المناشير بيده، فأغلظ له تتش، وقال: هل أنت إلا تابع لي؟ فقال آقسنقر: "أنا تابعك إلا في معصية السلطان"[127]، وفي إثر ذلك انسحب آقسنقر عائداً إلى حلب، وعاد بوزان إلى الرها، فاضطر تتش لرفع الحصار والعودة غاضباً إلى دمشق[128]، وبذلك نجت طرابلس من هجوم السّلاجقة، ومن أطماع تتش، واحتفظت باستقلالها في ظل بني عمار، ومن الأهمية التساؤل عن السبب الذي دفع آقسنقر للانحياز إلى ابن عمّار، ما أدى إلى إخفاق الحصار السلجوقي لطرابلس؟.

سبقت الإشارة إلى أن آقسنقر انضم إلى تلكالحملة مكرهاً، وأزعجه منح حمص لتتش، وخشي من ضمّ طرابلس إليه، مما يزيد من قوته وإمكاناته؛ لذلك كان حريصاً على إبقاء طرابلس مستقلة، ومنع تتش من الاستيلاء عليها، وضمّها إلى أملاكه، ولم تقف سياسته العدائية تجاهه عند هذا الحد، بل سعى لمنعه من ضمّ أية مدينة إلى أملاكه، فقد قام في طريق عودته إلى حلب بالاستيلاء على أفامية التي كانت جزءاً من أملاك خلف من ملاعب، وسلمها إلى نصر بن منقذ[129] صاحب شيزر[130]، ولم يكن تسليمها له بسببعلاقته الطيبة مع بني منقذ، بل لحرمان تتش من أخذها، ولزيادة قوّة الإمارة المنقذية التي شكلت أملاكها حاجزاً بين أملاكه في الشمال، وأراضي تتش في الجنوب، ولكسب بني منقذ إلى جانبه، وإبعادهم عن التحالف مع تتش[131].

---

[127] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص353.

[128] ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص130؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص44؛ Salibi, Syria under Islam, p 151.

[129] عز الدولة أبو المرهف نصر بن علي بن منقذ، ثاني أمراء بني منقذ في شيزر، تولّى الحكم خلفاً لوالده سنة 475هـ/ 1082م، واستمرّ حتى توفي سنة 491هـ/ 1098م؛ الشيخ، الإمارات العربية، ص303-314.

[130] ابن العديم، زبدة، ج1، ص328؛ بغية، مج1، ص144؛ مج4، ص1961؛ مج7، ص3356؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص355؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص199.

[131] زكار، مدخل، ص219؛ إمارة حلب، ص190؛ طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ص153.

سادساً: تطلّع تتش للوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية (485- 488هـ/ 1092- 1095م):

توفّي السّلطان ملكشاه في شوال سنة 485هـ/ تشرين الثاني من عام 1092م[132]، وما إن وصل خبر وفاته إلى أخيه تتش حتى طالب بالسلطنة، وأعلن نفسه خليفةً لأخيه ملكشاه، وسلطاناً للإمبراطورية السّلجوقية، فهل هذا يعني أن تطلّعات تتش للسّلطنة بدأت آنذاك أم قبل ذلك؟.

الحقيقة إن طموحات تتش كانت كبيرة، إذ تطلع للسّيطرة على بلاد الشام كاملةً، وربما للوصول إلى عرش السّلطنة السّلجوقية، ولعلّ ذلك الطّموح بدأ منذ أن تولّى دمشق وقتل أتسز، وبدأ يؤسّس ملكاً خاصّاً بها، ويظهر أن هذا التطلع ازداد مع الزمن، ولاسيما بعد انضمام أرتق بك إليه الذي لم يكن مخلصاً في نيته مع السلطان ملكشاه[133]، ووصل الأمر بأرتق في سنة 477هـ/ 1084م إلى عقد الاتفاق مع مسلم بن قريش العُقيلي على مكاتبة الخلافة الفاطمية، ومساعدتها على استعادة نفوذها في بلاد الشام ومدّه إلى الجزيرة والعراق، ومحاولة إقناع تتش بالانضمام إلى مخططاتهما[134].

ساعد أرتق بك بقواته تتش في حصار حلب سنة 479هـ/ 1086م، وما إن وصلت طلائع قوات ملكشاه إليها، حتى أشار على تتش بكسبها، غير أن هذا الأخير رفض اقتراحه بقوله: "لا أكسر جاه أخي الذي أنا مستظلٌّ بظلِّه، فإنّه يعود بالوهن عليَّ أولاً"[135]، وعلى الرّغم من ذكر تتش هذا التّسويغ لعدم محاربة عسكر أخيه، ولكن لِمَ لم يلتقِ به عندما قدم حلب؟ أليس في ذلك ما يثير الحيرة، فهو من جهة لا يريد مقاتلة

---

[132] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص200؛ الحسيني، أخبار الدولة السّلجوقية، ص71؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص359؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص141.

[133] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص383.

[134] سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج19، ص393، (أحداث سنة 478هـ).

[135] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص305.

أخيه، ومن ناحية أخرى يفرّ من حلب قبل أن يصلها أخوه[136]، ولعلّ في هذا ما يُشير إلى سوء العلاقة بينهما، وأنه كان يخشى أخاه الذي كان على بينة بطموحاته ونواياه.ومن ناحية ثانية، كان مقتل مسلم بن قريش العُقيلي في صفر سنة 478هـ/ حزيران عام 1085م، وبدأ إثره حصار سليمان بن قتلمش حلب، فراسلت إدارتها ممثلة بالشريف الحتيتي وسالم بن مالك السلطان ملكشاه يحثّانه للقدوم لتسلم المدينة أو إرسال نجدة تدفع عنها ابن قتلمش، غير أن السّلطان لم يحرّك ساكناً، فلمّا تحرّك تتش نحو حلب ودخلها ليصبح سيّد بلاد الشّام بكاملها، ثارت مخاوف أخيه السلطان، إذ خشي من أن يتمكّن أخوه من إقامة دولة سلجوقية كبيرة في هذه البلاد، تهدّد أملاكه ونفوذه في المنطقة؛ لذلك آثر القدوم بنفسه إلى بلاد الشّام ليضع حداً لنفوذ تتش، فحصره بدمشق وبيت المقدس، وقام بتوزيع الإقطاعات على رجاله المقرّبين الأوفياء، غير أنّ هذا الوضع الجديد لم يرضِ تتش، لذا طلب من السّلطان السّماح له بالتوسّع على حساب الفاطميين[137] كما سلفَ.

ولما كانت سنة 484هـ/ عام 1091م روت بعض المصادر خبر قدوم ملكشاه إلى بغداد، وقيامه باستدعاء ولاته في بلاد الشام والجزيرة[138]، وفي بلاطه رفع تتش شكوى ضد آقسنقر، غير أنّه خسر قضيّته بسبب اتّهام الأخير له بالكذب، قال ابن العديم: "نزل

---

[136] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص434.

[137] كان مقتل مسلم بن قريش العقيلي سنة 478هـ/ حزيران 1085م، وإثره حاصر سليمان شاه حلب، فراسلت إدارتها ملكشاه للقدوم، لكنه لم يبال بالأمر، ما اضطر إدارتها لاستدعاء تتش، فجاء إلى حلب وقتل ابن قتلمش في صفر سنة 479هـ/ أيار 1086م، ودخلها في ربيع الأول/ تموز، وفي ربيع الآخر/ آب بدأت تصل طلائع قوات ملكشاه إلى أطراف حلب، أما هو فلم يصلها حتى شعبان/ كانون الأول من السنة نفسها، وفي هذا ما يفيد أن قواته لم تتحرّك باتّجاه حلب إلا بعد أن قصدها أخوه تتش وقتل ابن قتلمش، وأوشك على أخذها؛ تم اعتماد التواريخ التي ذكرها ابن العديم نظراً لأنّه ابن حلب؛ زبدة، ج1، ص317–327؛ أما ابن الأثير فذكر أن مسير السّلطان من أصفهان كان في جمادى الآخرة؛ الكامل، ج8، ص304.

[138] أبو الفداء، المختصر، ج2، ص201؛ ابن الأثير، ابن الأثير، ج8، ص352؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص119؛ ابن خلدون، تاريخ، مج5، ص13.

تتش على ملكشاه.. وحضر هو وقسيم الدّولة في حضرته، فقال تاج الدولة تتش: كان من الأمر كذا وكذا، فقال له قسيم الدولة: تكذب، فقال له السّلطان: تقول لأخي كذا! قال: نعم، يطلع الله في عينيه ما يريده لك، ويطلع في عيني ما أريده لك"[139]، فهل هذا الحوار يعني أن تتش كان طامعاً بالوصول إلى عرش السلطنة منذ أيام أخيه ملكشاه؟.دون شكّ يمكن القول إنّه كان يبيّت شيئاً ما، ربما للسّلطان، وربّما كان يسعى إلى تكوين دولة مستقلّة له، بدليل أنّه عندما أراد العودة إلى دمشق أُجبر على ترك أحد أولاده رهينةً عند السّلطان[140].

ولم يطل الوقت حتى توفّي ملكشاه في السّنة التّالية، فبدأت السّلطنة السّلجوقية بالتفكك بسبب الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة السلجوقية، وكان قد ترك أربعة أولاد وهم: بركياروق ومحمد وسنجر ومحمود[141]، ولم يكن أيٌّ منهم في سنٍّ تؤهّله لتولّي عرش السّلطنة، ولم يكن معه حينها غير ابنه محمود، ذي الأربع سنين وشهور، فعملت أمه تركان خاتون[142] على أخذ البيعة له، فبذلت الأموال للأمراء والأجناد حتى أقاموا البيعة له، كما طلبت من الخليفة المقتدي[143] البيعة لولدها، وأرسلت إلى أصفهان في القبض على بركياروق أكبر أولاد ملكشاه، خشية أن ينازع ولدها في السّلطنة، فقُبض عليه، ولكنّ العساكر النظاميّة أتباع نظام الملك الموجودين فيها، قصدوا السجن، فأخرجوا بركياروق، وخطبوا له وملكوه، وإثر ذلك اتّجهت تركان خاتون ومعها ابنها

---

[139]ابن العديم، بغية، مج4، ص1956.

[140]سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص434؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص131.

[141]الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص 74؛ الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص76.

[142]تركان خاتون الجلالية: زوج السلطان ملكشاه، ووالدة ابنه محمود، وهي ابنة طفغاج خان، وهو من نسل أفراسياب التّركي، توفّيت سنة 487هـ/ 1094م؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص386؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص14.

[143]المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد بن القائم: تولّى الخلافة سنة 467هـ/ 1075م فاستمرّ فيها حتى توفّي سنة 487هـ/ 1094م، وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر؛ ابن العمراني، محمد بن علي (ت، 580هـ/ 1184م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1419هـ- 1999م، ص201-205؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص141.

محمود بالعساكر نحو أصفهان، ولما اقتربت منها، خرج بركياروق باتّجاه الريّ، فأرسلت العساكر لمحاربته، غير أنهم هُزِموا أمامه بسبب انحياز بعض فرق جيشها إليه، وثبات الجند النظاميّة إلى جانبه، فسار في إثرهم إلى أصفهان لمحاصرتهم[144]، ثم جرى الصّلح بينهما "على أنّ أصفهان وفارس لخاتون وابنها محمود، وباقي البلاد لبركياروق وهو السلطان"[145].

1- زحْفُتتش الأول للسّيطرة على السّلطنة السّلجوقية: لم يقتصر الصّراع على عرش السّلطنة على أولاد ملكشاه، بل كان من أبرز الطّامحين بالوصول إليه تتش الذي ما إنْ بلغه وفاة أخيه السّلطان، وهو في طريقه إلى بغداد للقائه، حتى عاد مسرعاً إلى دمشق، وأخذ يتجهّز لطلب السّلطنة، فجمع العساكر، وأخرج الأموال[146]، وراسل آقسنقر وياغي سيان وبوزان يدعوهم إلى طاعته ومساعدته، فأجابوا طلبه بالإيجاب، وخطبوا له في أعمالهم[147].

لم يكن الطريق ممهّداً أمام تتش لتحقيق هدفه، إذ اصطدم ببعض العقبات، ومنها معارضة القوى الموجودة في طريقه من بني عقيل وبني مروان[148]، وموقف الخليفة العباسي من طلبه، وموقف العسكر السّلطاني في أصفهان، فضلاً عن ذلك كان عليه

---

(144) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص74-75؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص300- 301؛ الراوندي، راحة الصدور، ص 215-218؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص362-364؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص193؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص123.

(145) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص 450.

(146) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص367؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص144؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص44.

(147) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص200-201؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص328-329؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص12؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص144؛ إسماعيل، تاريخ السلاجقة، ص132.

(148) بنو مروان: هم أسرة كردية، أقامت إمارة لها في منطقة ديار بكر بُعيد سقوط الدولة الحمدانية في الموصل، واستمرت قائمة نحو قرن من الزمن حتى قضى عليها السّلاجقة نهائياً سنة 478هـ/ 1085م؛ للمزيد عنها: الفارقي، تاريخ، ص59- 213؛ بولاديان، أرشاك، الأكراد في حقبة الخلافة العباسية في القرنين 10- 11م، تر: ألكسندر كشيشيان، الدار الوطنية الجديدة، ط1، دمشق، 2009م، ص113- 145، 173- 193.

مواجهة مدى ثبات تحالفه، وولاء القوى الموجودة معه أمام مستجدّات الموقف. وجمعفي سعيه لتحقيق هدفه بين استخدام القوة العسكرية، والعمل السياسي الذي تمثّل بالمراسلات وخطابات التهديد التي وجّهها للخليفة العباسي أو للعساكر في أصفهان.

فبعدما استكمل استعداداته في دمشق، تحرّك باتجاه المشرق في أول سنة 486هـ/ 1093م، ولمّا وصل حلب، التحق به آقسنقر وياغي سيان، فقصد الرّحبة[149]، واستولى عليها بالأمان، ثم قصد نصيبين[150]، ولما وصلها التحق به الأمير بوزان صاحب الرها، وكانت نصيبين تتبع لبقايا الدولة العُقيلية في الموصل، فامتنع مَنْ بها عن تسليمها لتتش، فقام هذا الأخير بمحاصرتها، ودخلها عنوة، وفعل فيها الأفعال القبيحة[151]، ثم كاتب أمير الموصل إبراهيم بن قريش العُقيلي[152] يأمره أن يخطب له بالسّلطنة، ويعطيه طريقاً إلى بغداد، ويطلب الخطبة بالسّلطنة[153]، ولكنّالأميرالعُقيلي لم يجب طلبه، بل جمع قواته وحشدها، فسار تتش إلى الموصل لانتزاعها من العُقيليين، فاصطدما في عدة معارك، كان أبرزها وقعة المُضَيَّع من أعمال الموصل التي انتهت بانتصار تتش، ومقتل إبراهيم العُقيلي، وعدد من أفراد بني عقيل، وذهب ضحيتها عشرة آلاف رجل من

---

(149) الرحبة (رحبة مالك بن طوق): تقع بين الرقة وبغداد، وهي على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا؛ الحموي، معجم البلدان، مج3، ص34.

(150) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام؛ الحموي، معجم البلدان، مج5، ص288.

(151) العظيمي، تاريخ حلب، ص356؛ الفارقي، تاريخ، ص233- 234؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص201؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص369؛ التاريخ الباهر، ص12؛ Salibi, Syria under Islam, p 151- 152.

(152) إبراهيم بن قريش العقيلي: أخو مسلم بن قريش، خلفه على إدارة الدولة العقيلية بُعيد مقتله، ولما كانت سنة 482هـ/ 1089م استدعاه ملكشاه فاعتقله، وبقي في سجنه حتى توفّي ذلك السّلطان، فلما أطلق سراحه، عاد إلى حكم الموصل، فاستمرّ عليها حتى قتل سنة 486هـ/ 1093م؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص296، 368- 369.

(153) أبو شامة، الروضتين، ج1، ص145؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص369؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص584.

الفريقين، وفي هذه الموقعة ارتكب السلاجقة أبشع الجرائم بحق العرب ونسائهم[154]، وهجر بنو عقيل منازلهم وبلادهم، وتوجهوا بقيادة علي بن مسلم بن قريش ووالدته خاتون عمّة ملكشاه إلى حيث يقيم السلطان بركياروق الذي استقرت أمور السلطنة له، وشكوا له ما نزل بهم على يد عمه تتش، فوعدهم بالعمل على تحقيق غرضهم، وإعادتهم إلى إمارتهم[155].

تقدم تتش إثر النصر الذي أحرزه على العُقيليين نحو ديار بكر، بلاد الدولة المروانية، فتسلم بالأمان آمدثمميافارقين، فأنهى الدولة المروانية، ونظّم إدارة المناطق التي سيطر عليها، فعيّن ولاته عليها[156]. وقد ثبتت الانتصارات التي حققها من مكانته، وقوّت مركزه، وزادت في أحلامه لتولي السلطنة، فكتب إلى الخليفة العباسي المقتدي ببغداد يطلب منه إقامة الخطبة له بالسلطنة على منابر بغداد، وبلدان الخلافة العباسية[157]، غير أن الخليفة لم يعبأ بطلبه، بل كتب له: "إنما تصلح للخطبة إذا حصلت الدنيا بحكمك، والخزائن التي بأصفهان، وتكون صاحب المشرق وخراسان، ولم تبقِ من أولاد أخيك ملكشاه من يخالفك، أما في هذا الحال، فلا سبيل إلى ما التمسته، فلا تعْدُ حدَّ العبيد"[158]. وعلى الرّغم من ذلك الردّ القاسي من الخليفة على طلب تتش، غير أن هذا الأخير لم يتّجه مباشرةً إلى بغداد، بل تابع طريقه باتجاه خراسان، فما السّبب في ذلك؟.

---

[154] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص202–203؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص368– 369؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص329؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص44؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص203– 204؛ ابن كثير، البداية والنّهاية، ج16، ص136؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، 584؛ مج5، ص17–18.

[155] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص203– 204؛ المعاضيدي، دولة بني عقيل، ص140.

[156] الفارقي، تاريخ، ص234– 236؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص203؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص369؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص456–457؛ ابن العديم، بغية، مج5، ص2301– 2302.

[157] ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص5.

[158] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص451؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص135.

كان الصّراع على السّلطة بين أولاد ملكشاه قد حسم لصالح بركياروق الابن الأكبر للسّلطان[159]، ولمّا علم تتش بذلك، أسرع في الزّحف باتّجاهه لمحاربته، ولكنه ما إن وصل تبريز في أذربيجان حتى انفصل عنه آقسنقر صاحب حلب، وبوزان صاحب الرّها، والتحقا بالسلطان بركياروق عند مدينة الري، فقويَ مركزه بهما، فما الذي دفعهما إلى ذلك التصرف؟.

ذكر ابن العديم أن سبب انفصالهما عنه يعود إلى تقريب تتش ياغي سيان صاحب أنطاكية وميله إليه، "ولأنه لم يولهما أيّاً من البلاد التي افتتحها"[160]، كما أنّهما كانا قد انضمّا إلى حملته مكرهين بسبب الظروف السياسية التي تمر بها السّلطنة، ولما استقرّت أمورها لصالح بركياروق بن ملكشاه، انحازا إليه[161]، ويُضاف إلى ما تقدّم أن آقسنقر كان "يستصغر أمر تتش"[162].

ومهما يكن من أمر، فقد وجد تتش نفسه في موقف حرج، ولا يملك القوّة لمواجهة عسكر بركياروق، لذا عاد أدراجه إلى بلاد الشام، أما السّلطان بركياروق، فقد حرّضه كلٌّ من آقسنقر وبوزان ضد تتش، وحذراه من أطماعه، وطلبا منه أن يسير معهما، ولما وصل الموصل، ردَّ بني عقيل إليها، وقدّم عليهم علي بن مسلم العُقيلي[163]، وتابع معهما إلى الرّحبة، وفيها عقد تحالفاً بينهما وبين علي بن مسلم العُقيلي للوقوف في وجه تتش، وعاد بعدها باتجاه بغداد بعد أن ترك قسماً من عسكره رافق قسيم الدولة مع جماعة من بني عقيل حتى أوصلوه إلى حلب في شوّال سنة 486هـ/ تشرين الثاني 1093م، وعاد بوزان إلى الرها[164].

---

[159]الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص74- 75؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص45.

[160]زيدة، ج1، ص330.

[161]ابن الأثير، الكامل، ج8، ص370؛ التاريخ الباهر، ص13؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص204.

[162]ابن العديم، بغية، مج4، ص1956.

[163]ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص204.

[164]ابن العديم، زيدة، ج1، ص330-331.

أما بالنسبة لتتش، فوصل دمشق في آخر ذي الحجة من سنة 486هـ/ كانون الثاني من عام 1094م[165]، وبذلك أخفقت محاولته الأولى للوصول إلى عرش السّلطنة السّلجوقية، وإثر ذلك انقسم السلاجقة في بلاد الشام والجزيرة إلى معسكرين متصارعين: الأول بقيادة تتش ومعه ياغي سيان صاحب أنطاكية، ويطمح صاحبه للوصول إلى عرش السلطنة، وضمّ الثّاني كلّاً من آقسنقر صاحب حلب وبوزان صاحب الرّها، وهما مؤيدان للسّلطان بركياروق، ويعملان ضدّتتش، ويسعيان لإسقاط مخطّطاته.

2- محاولة تتش الثانية لطلب السّلطنة السّلجوقية ومقتله سنة 488هـ/ 1095م: كانت محاولة تتش الأولى للوصول إلى عرش السّلطنة السّلجوقية أسهل من محاولته الثانية، نظراً لأن المشهد السياسي في الأولى لم يكن واضحاً، فهناك صراع بين أولاد ملكشاه لوراثة أبيهم، ما انعكس إيجاباً على وضع تتش، وقوّى مركزه، إذ إنّ القوّاد السّلاجقة في شمال بلاد الشّام والجزيرة استجابوا لطلبه، وزحفوا بقوّاتهم معه باتّجاه المشرق، وساعدوه في تحطيم القوى المعارضة من بني عقيل وبني مروان حتى إذا صار على وشك الوصول إلى هدفه، غيّروا موقفهم، وانحازوا إلى بركياروق بن ملكشاه الذي ورث أباه، ما أدى إلى إخفاق محاولته الأولى، وعودته خائباً إلى دمشق.أما في المحاولة الثّانية، فإن الموقف كان مختلفاً كليّاً، فالسلطنة مستقرة لبركياروق، وهناك اعتراف من الخلافة العباسية بسلطنته[166]، وهناك العديد من القواد، والقوى التي تؤيده، وتقف إلى جانبه؛ لذلك كانت محاولته الثانية أكثر صعوبةً، إذ كان عليه الاصطدام بالقوى المعارضة لهدفه من بداية زحفه في بلاد الشّام، وكان أولها: آقسنقر صاحب حلب.

لم ينسَ تتش بُعيد عودته إلى دمشق تخلّي آقسنقر، وبوزان عنه وقت الشّدّة؛ لذلك أخذ يعدّ العدّة للانتقام منهما، ولم يزل يجمع العساكر حتى كثرت جموعه وعظم شأنه،

---

[165] العظيمي، تاريخ حلب، ص356؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 204؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص331.

[166] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص376، (ذكر أن الخطبة للسّلطان بركياروق ببغداد كانت في يوم الجمعة رابع عشر المحرم سنة 487هـ، ولُقب ركن الدين)؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص583.

فضمّ إليه ياغي سيان صاحب أنطاكية، كما كان معه جماعةٌ من بني كلاب بقيادة وثاب بن محمود بن صالح[167].أمّا بالنسبة لآقسنقر، فإنه أدرك أنّتتش سوف ينتقم منه لتخلّيه عنه سابقاً ووقوفه ضد مشروعه؛ لذلك أخذ يستعدّ للتّصدي له، ولمنعه من مغادرة بلاد الشام، وربما لانتزاع دمشق منه، فاستنجد بمن جاوره من الحكام، وطلب المساعدة من السّلطان بركياروق، فأمدّه بكربوغا الذي صار فيما بعد أمير الموصل[168]، وقام بتجنيد قواتٍ إضافيّة من قبيلة كلاب بقيادة شبل بن جامع، وجماعة من أحداث حلب[169].

ولما استكمل تتش عدّته، سار بعساكره من دمشق في شهر ربيع الأول سنة 487هـ/ آذار-نيسان من عام 1094م قاصداً حلب التي كانت من أكبر العقبات في طريقه للوصول إلى عرش السّلطنة، ومن جانبه خرج آقسنقر بجيشه للتّصدي له، فقطع سواقي نهر سبعين[170]، والتقى الجيشان قريباً من تلّ السلطان[171]في يوم السبت 9 جمادى الأولى/ 27 أيار من عام 1094م، فانهزم آقسنقر، وأُسِرَ، فقتله تتش، فيما فرّت فلول جيشه إلى حلب، فما الأسباب التي جعلت تتش ينتصرعليه؟.

---

(167) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص204؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص331؛ بغية، مج4، ص1956.

(168) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص205- 206؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص379؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص331-332؛ بغية، مج4، ص1957؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص456.

(169) كانت قبيلة كلاب منقسمة بين المعسكرين المتصارعين، فهناك الجزء الأكبر منها الذي يقطن المنطقة الجنوبية الغربية لحلب بقيادة شبل ابن جامع، وهو مع آقسنقر، أما باقي القبيلة، فكان تحت إمرة الأمير وثاب بن محمود المرداسي الذي كانت تربطه بتتش علاقة طيّبة، وانخرط بأتباعه في جيشه؛ لذلك أنفذ آقسنقر من قبضٍ على إقطاعه، وأحرق حصن أسفونا وحصن القبة؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص331-332؛ زكار، مدخل، ص226.

(170) سبعين: قرية من قرى حلب من نقرة بني أسد على نهر الذّهب الذي يصبّ بملحة الجبول؛ ابن العديم، بغية، مج4، ص 1956.

(171) تلّ السّلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق، وفيه خان ومنزل للقوافل، وهو المعروف بالفنيدق؛ الحموي، معجم البلدان، مج2، ص42.

لقد هُزم آقسنقر سريعاً –على الرغم أنّ عدد قواته قد بلغ أكثر من عشرين ألفاً[172] – بسبب عدم اشتراك القوّات التي جاءت بقيادة كربوغا وبوزان لمساعدته، إذ لم يتمكنا من قطع بعض سواقي نهر سبعين، فظلوا في أماكنهم، وبذلك حُرِمَ من قوّة عسكريّة كان بأمسّ الحاجة إليها، واضطرّ إلى خوض المعركة منفرداً، كما أن آقسنقر لم يثق بمن معه من العرب، فنقلهم وقت المصاف من الميمنة إلى الميسرة ثمّ إلى القلب، ويبدو أن هذا التبديل في مواقع قوّاته قد أثّر سلباً على قدراته القتاليّة، فدارت الدّائرة عليه، وهُزم وقتل، وفرّت فلول جيشه إلى حلب[173].

توجّه تتشعقب انتصاره مسرعاً إلى حلب مستغلاً خلوّها من المدافعين عنها، وكان قد فرَّ إليها كربوغا وبوزان، واجتمعا بأهلها، وقرّرا طلب مساعدة من السلطان بركياروق، ولكنّ السّرعة التي وصل بها تتش إلى أسوار المدينة، سببت إرباكاً بين صفوف السكّان والأحداث والتركمان فيها، فتمكّن من دخولها في يوم الإثنين 11 جمادى الأولى سنة 487هـ/ 29 أيار من عام 1094م، وقبض على كل من كربوغا وبوزان، فقتل الثاني، وأرسل الأول إلى حمص وسجنه فيها[174].وبسيطرة تتشعلى حلب يكون قد وحّد بلاد الشّام من شمالها إلى جنوبها تحت إدارته، ومن جانب آخر يكون قد تخلص من أولى وأكبر العقبات في طريقه للوصول إلى عرش السلطنة؛ لذلك ما إن رتّب شؤون المناطق التي سيطر عليها حتى توجّه شرقاً، ولكنّه عدل عن طريق الموصل؛ لأنّ السّلطان بركياروق كانقد سبقه إليها في طلب خاتون زوج السلطان ملكشاه، والدة أخيه محمود، التي كانت مستولية على أصفهان وجميع الأموال، ومنعته التصرّف في تلك الأعمال،

---

(172) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص207؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص357؛ ابن العديم، بغية، مج4، ص1956–1957، 1962؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص15؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص145؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص204– 205؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص45؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص585؛ Salibi, Syria under Islam, p152.

(173) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص208؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص332– 333؛ بغية، مج4، ص1957– 1958.

(174) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص208–209؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص379؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص334– 335؛ ابن خلدون، تاريخ، مج5، ص19.

وكانت قد جرت مراسلات بينها وبين تتش، وأطمعته بالزواج منها، ولمّا اقترب من همذان، خرجت خاتون من أصفهان في عسكرها للقائه، فتعرضت في طريقها لمرضٍ حادٍ، فتوفِّيت على أثره وتفرّقَ عسكرها إلى جهة السّلطان وغيره[175].

لمّا سمع بركياروق بزحف عمه باتّجاه المشرق تحرّك بالاتّجاه نفسه، ولكن أخذ طريقاً مغايراً[176]، ومع ذلك حصل في بعضها اقترابٌ بينهما، حتى لم يبقَ سوى مسافةٍ قليلةٍ تفصلهما عن بعض، ولم يكن مع السّلطان غير قوّةٍ قليلةٍ تقدّر بألف رجل، في حين كان تتشعلى رأس جيش كبير تعداده خمسون ألف رجل، فقامت بعض فرق جيشه بمهاجمة عسكر بركياروق، فهزمته، فهرب إلى أصفهان[177]. فيما وصل تتشإلى همذان، والتحق به قسمٌ كبيرٌ من عسكري خاتونوبركياروق، وهذا ما قوّى موقفه، وزاد في قوته[178]، وعندها بدأ يقوم بالخطوات الأخيرة للوصول إلى عرش السّلطنة السّلجوقية، فما تلك الخطوات؟.

كانت أولى خطواتتتش أن عمد إلى تحصين موقفه، فاستوزر فخر الملك بن نظام الملك[179] لميل النّاس إلى أهل بيته، وأرسل إلى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة

---

[175] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص209؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص458.

[176] كان بركياروق بنصيبين، فلما سمع بمسير عمّه إلى أذربيجان، سار منها، وعبر دجلة من بلد فوق الموصل، وسار إلى إربل، ومنها إلى بلد سرخاب بن بدر إلى أن بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ، ولم يكن معه سوى ألف رجل؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص380- 381.

[177] النويري، نهاية الأرب، ج26، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص380-381؛ الراوندي، راحة الصدور، ص219؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص585.

[178] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص209؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص380.

[179] فخر الملك أبو المظفر علي بن نظام الملك: أكبر أولاد نظام الملك، كان يقيم بهمذان لمّا سار إليها تتش، ففرّ منها ملتحقاً بالسلطان بركياروق في أصفهان، غير أنه ما كاد يصلها حتّى تعرّض للنّهب من قبل قماج، وهو أحد قادة عسكر محمود بن ملكشاه، فهرب منه ونجا بنفسه إلى همذان، فصادفه تتش فيها وأراد قتله، فشفع به ياغي سيان، وأشار عليه بأن يستوزره، ثم وزر للسّلطان بركياروق سنة 488هـ/ 1095م، فلمّا فارق وزارته، قصد نيسابور، وأقام عند الملك سنجر ووزر له، قتل سنة 500هـ/ 1106م وعمره 66 سنة؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص380، 390، 397، 532.

المستظهر بالله[180]، فأُجيب إلى ذلك بعد أن سمعوا أن بركياروق قد انهزم أمام عسكر عمّه تتش[181]، وكتب إلى ابنه رضوان بدمشق يستدعيه للقدوم إليه فيمن بقي من الأجناد في الشام[182].كما وجّه قوّة عسكريّة إلى أعمال بني عقيل في ديار ربيعة، فاستولت على أعمالهم باستثناء الموصل[183]، كما راسل أمراء التّركمان بأصفهان لاستقطابهم، ومنّاهم بالأعطيات الكثيرة، وكان بركياروق مصاباً بالجّدري؛ لذلك أجابوه بالإيجاب، ولكنْ لمّا شُفي السّلطان غيّروا موقفهم، وأرسلوا إلى تتشأن ليس بينهم وبينه إلا السّيف، وساروا مع بركياروق باتّجاه الري حيث يعسكر تتش، وفي الطريق انضمّت إليه العساكر من كل مكان حتى بلغ جيشه ثلاثين ألفاً[184].جرى المصاف بين الطرفين قرب الري في 17 صفر سنة 488هـ/ 27 شباط 1095م، حيث دارت رحى معركةٍ طاحنةٍ بين الجيشين السّلجوقيين، هُزم فيها عسكر تتش، وثبت هو حتى قُتل على يد أحد أتباعه من أصحاب آقسنقر، ثأراً لسيده، وبمقتله استقرّت السلطنة لبركياروق بلا منازع[185]، ولكنّه اكتفى بحكم بغداد وفارس دون أن يحاول مدّ نفوذه إلى بلاد الشّام الّتي صارت لأولاد تتش[186].

---

[180]المستظهر بالله: هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله: تولّى الخلافة عقب وفاة والده سنة 487هـ/ 1094م، واستمرّ خليفةً حتى توفّي سنة 512هـ/ 1118م؛ ابن العمراني، الإنباء، ص206– 209؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص145–146، 150.

[181]ابن الأثير، الكامل، ج8، ص380؛ النويري، نهاية الأرب، ج27، ص45–46.

[182]ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص209– 210؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص335؛ بغية، مج8، ص3659–3660.

[183]ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص211.

[184]ابن الأثير، الكامل، ج8، ص390؛ ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص585– 586.

[185]ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص212؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص76؛ الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص79؛ الراوندي، راحة الصدور، ص220؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص390؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص335– 336؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص467؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص206؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص154؛ (كان المصاف بينهما على قرية يقال لها داشيلو على اثني عشر فرسخاً منالري).

[186] طقوش، تاريخ السّلاجقة في بلاد الشام، ص158؛ Salibi, Syria under Islam, p153.

وكان من الآثار المترتبة علىمقتل تتش، أن فقدت بلاد الشام وحدتها، إذ انقسمت بين ولديه وهما: رضوان في حلب، ودقاق في دمشق، فأخذ كلٌّ منهما يسعى لانتزاع أملاك الآخر، وضمّها إلى أملاكه[187].

3- أسباب إخفاق تتش في الوصول إلى عرش السلطنة السلجوقية:

إنّ إخفاقتتش في الوصول إلى مبتغاه -على الرّغم من أنّه كانَ مستعدّاً وقويّاً- يعود إلى أسباب متعددة، ومنها: شدّة تتش وقسوته، إذ كان ينتقم من خصومه أشدّ انتقام، وينزل بهم أقسى درجات العقوبة، ففي زحفه الأول نحو المشرق، قضى بقسوة على المناطق التي لم تستسلم له، فقد فتح نصيبين عنوةً وقهراً، وارتكب فيها مجزرة كبيرة، إذ قتل فيها نحو ألفي رجل، ولم يسلم من القتل منْ التجأ إلى جامعها ومساجدها، "وأُخذت الحُرم، وهُتكت البنات، وعوقبوا بأنواع العقوبات، إلى أن أظهرن كلّمذخور، وأبرزن كلّ مستور، وفعل في أمرهم ما لا يستحلّه مسلم، ولا يستحسنه كافر"[188]، وعلّق الفارقي على ما جرى فيها بقوله: "وجرى على أهل نصيبين ما لم يجرِ مثله على الكفار"[189]، وفعل مثل ذلك ببني عقيل بعد هزيمتهم في وقعة المضيّع، إذ أوقع بهم السبي والقتل والنهب، وشردهم عن منازلهم[190].الأمر الثاني اتباع تتشأسلوب الغدر وقتل الأبرياء والتنكيل بالقادة دون سبب، وقتلهم دون شفقةٍ أو رحمةٍ؛ فقد غدر بأتسز وقتله بعد ما سلّمه دمشق، وقتل كلّاً من سليمان شاه،وآقسنقر، وبوزان وغيرهم، وكان يتفنن في الانتقام من خصومه، فبعدما استولى على حلب سنة 487هـ/ 1094م كان بوزان صاحب الرّها وحرّان أسيراً بيده، ومنها أرسل بعض قواته لتسلّم المدينتين، فامتنع نائب

---

[187]العظيمي، تاريخ حلب، ص357- 358؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص213-215؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص336-340؛ الصفدي، تحفة، ص363؛ النّويري، نهاية الأرب، ج27، ص46- 50؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص206- 207؛ إسماعيل، تاريخ السلاجقة، ص52.

[188] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص201.

[189] تاريخ، ص234.

[190] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص202- 203.

بوزان عن تسليمهما إلّا بعلامةٍ منْ سيّده، ورداً على ذلك الامتناع، قتل بوزان، وأرسل رأسه إليهما، فخاف أهلهما، وسلموهما له[191]، كما كان يقتل المستأمنين إليه[192].

أدّت سياسة العنف والقسوة التي اتّبعها تتش إلى انفضاض أصحابه عنه في ساعات الشدّة، ففي زحفه الأول انفصل عنه آقسنقر وبوزان، وانضمّا إلى جانب بركياروق، ويظهر أنّه حصل ما يشبه ذلك الأمر في محاولته الثّانية، فقد صرّح قبل يوم من المعركة أنه لن يبقي على أحد من عسكر بركياروق بعد الحرب بقوله: "من ظفرتم به من عسكر بركياروق فاقتلوه، ومن بقي بعد الحرب فأنا أقتله"[193]، وهكذا فالقتل الجماعي كان شعاره في حروبه، وقد ترك ذلك أثراً سيئاً في نفوس جنده ما جعل أكثرهم يستأمنون إلى بركياروق.

ثمّ إنّ كثرة المعارضين الذين وقفوا في وجهتتشللوصول إلى عرش السّلطنة السّلجوقية، وأعاقوا محاولتيه، وكان ذلك من بني عقيل وبقايا بني مروان، إلى جانب رفض الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله الاعتراف به، وإقامة الخطبة له ببغداد، ولما أرسل إليه بركياروق يطلبها لنفسه، أجاب طلبه، وخطب له، ولُقب ركن الدولة[194]؛ ولم تقتصر معارضة تتش على من تقدّم، بل إنّ الإمارة المزيديّة في الحلّة بقيادة صدقة ابن منصور[195] عارضت وصوله إلى ذلك المنصب، إذ كان ذلك الأمير يكره تتش، ولم

---

[191] ابن العديم، زبدة، ج1، ص335؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص379؛ (في ميافارقين، "قتل بني جهير بعد أن قطع رؤوس أولادهم وعلّقها في رقابهم"؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص335.

[192] ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص154؛ (كان من قتلى تتش الشاعر المشهور الحسن بن أسد أبو نصر الفارقي الذي دخل مجلسه مستأمناً، وأنشده قصيدة، لكنه لم يرضَ عنه، بل أمر بقتله)؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج5، ص137- 138.

[193] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص467.

[194] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص376.

[195] صدقة بن منصور بن مزيد: خلف أباه منصور على الإمارة المزيدية في الحلة، وهو يعد من أشهر أمرائها، حكم بين 478- 501هـ/ 1085- 1108م؛ ناجي، عبد الجبار، الإمارة المزيدية (387- 558هـ/ 997- 1162م)، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1970م، ص96- 129.

يخطب له ببلاده، ولمّا ورد داعية تتش إلى بغداد للاستيلاء عليها، توجّه صدقة بن منصور بجنده إليها مظهراً مناصرته للسلطان بركياروق، فعسكر على أحد أبوابها، مما دفع داعية تتش لأن يترك بغداد، ولم يجرؤ على قصدها إلا بعد أن رجع الأمير المزيدي إلى إمارته[196]. كما أنَ العساكر النظامية انحازت بُعيد وفاة ملكشاه إلى ابنه الأكبر بركياروق، فحموه في أصفهان من مؤامرة تركان خاتون للقضاء عليه، وأجلسوه على العرش، وبايعوه، وخرجوا به إلى الري، وجمعوا الأجناد عليه، وحاربوا عسكر خاتون وهزموها، ولما توجه تتش إلى المشرق للوصول إلى عرش السلطنة، كان لهم دور كبير في التصدي له، والمحافظة على سلطنة بركياروق[197].

الخاتمة:

من خلال ما تقدمتبين أن تعيين تاج الدولة تتش على بلاد الشام يعود إلى اضطراب أوضاعها، وضعف القوى الموجودة فيها، وضعف الجماعات التركمانية الأولى (الناوكية) التي تسربت إليها، وانهزامها أمام محاولات الفاطميين لاستعادة السيطرة عليها، ولعل السبب الأبرز لتعيينه يعود إلى تطلع السلاجقة لوضع تلك البلاد تحت الحكم السلجوقي المباشر، لا سيما بعد قيامهم بأكثر من محاولة لمدّ نفوذهم إليها. ولما عين تتش عليها من قبل السلطان ملكشاه زحف نحو حلب، فحاصرها مرتين في سنتي 470 و471هـ/ 1078- 1079م دون أن يتمكن من السيطرة عليها، وحدث آنذاك أن استنجد به أتسز بن أوق الخوارزمي زعيم التركمان الناوكية بدمشق للتصدي للجيش الفاطمي المحاصر له، فكانت الفرصة التي اقتنصها ليؤسس ملكاً خاصّاً به في دمشق، وبذلك الحدث كانت البداية لحكم أسرة آل تتش التي سوف تستمر في حكم مناطق بلاد الشام لأكثر من ثمانين سنة مقبلة.

---

[196] ابن الأثير، الكامل، ج8، ص389- 390؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص15؛ ناجي، الإمارة المزيدية، ص104.

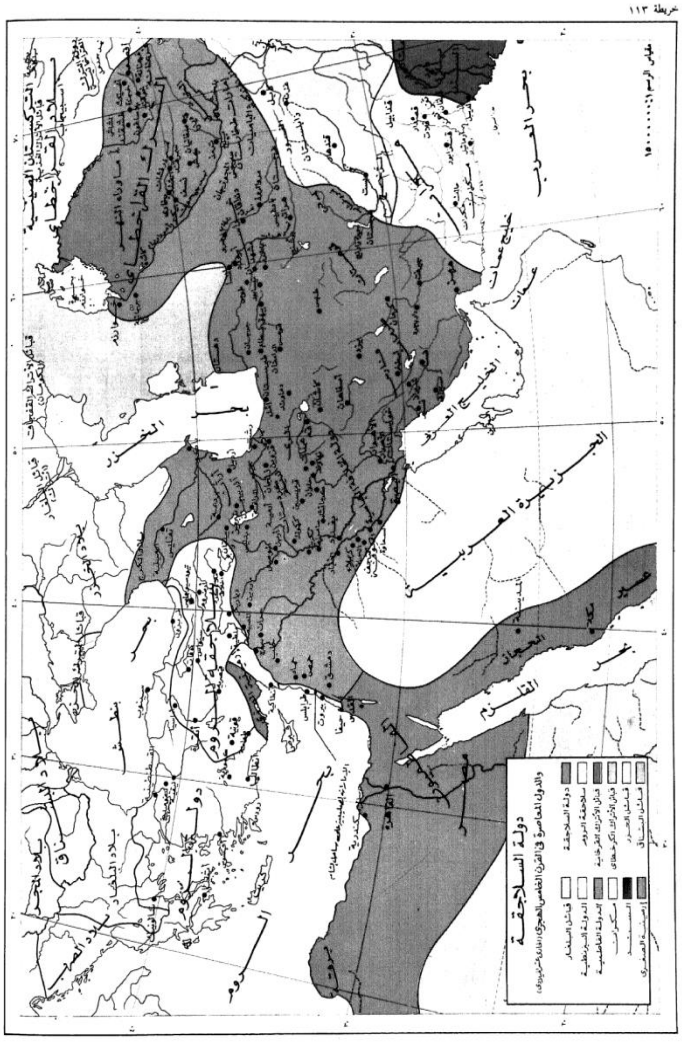
[197] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص74- 76؛ الراوندي، راحة الصدور، ص217- 220؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص363- 364؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، ص193.

اتجه تتش بعدما سيطر على دمشق نحو ترسيخ نفوذه، فأنهى آخر وجود لأسرة أتسز، وسيطر على المناطق التابعة لها، كما ضبط القبائل العربية في مناطق سيطرته، ثم اتجه للتوسع باتجاه شمال بلاد الشام، ما قاده للصراع مع القوى التي سيطرت عليه ممثلة بمسلم بن قريش العُقيلي، ثم سليمان بن قتلمش السلجوقي، ولكن دون أن ينجح في السيطرة عليه، بل آلت السيادة عليه إلى السلطان ملكشاه الذي عين ولاة من قِبَلِه. وهذا الأمر دفع تتش لتركيز أعماله العسكرية خلال السنوات الممتدة بين 479هـ/ 1086م و485هـ/ 1092مللتوسع على حساب المناطق التابعة للفاطميين،والقوى المحلية المستقلة عنهم في مدن الساحل، فنجح في السيطرة على حمص وعرقة، ولكنه أخفق في الاستيلاء على طرابلس التي حافظت على استقلالها بأيدي بني عمار. ولما توفي السلطان ملكشاه سنة 485هـ/ 1092م كان تتش من أبرز الطامحين لخلافته والوصول إلى عرش السلطنة، وفي سبيل ذلك زحف بقواته مرتين باتجاه المشرق، غير أنه أخفق في مسعاه، ودفع حياته ثمناً لتلك الطموحات، وكان ذلك بسبب قسوته وشدته، وكثرة المعارضين لوصوله إلى السلطنة، ولكن على الرغم من ذلك بقيت بلاد الشام بيد أسرته، ولكنها فقدت توحدها بسبب انقسامها بين ولديه رضوان في حلب، ودقاق في دمشق، وقيام الصراع والتنافس بينهما.

ومما هو جدير بالذكر أن أعمال تتش العسكرية في بلاد الشام، وحملات التركمان والسلاجقة عليها بعامة، أثّرت سلباً في الأوضاع الحضارية فيها، نظراً لما اتسمت به أعمالهم من الوحشية والعنف، وما أحدثت من الفوضى والبلبلة، فقد نكلوا بسكانها دون رأفة أو شفقة، وألحقوا بهم ألواناً من الظلم والاستبداد، ودمروا المدن والقرى، وقد أنهكت سياستهم البلاد، واستهلكت كثيراً من طاقاتها وإمكاناتها، وأدت إلى إضعاف القوى الحربية الموجودة فيها، ما أدى إلى ضعف قدرة بلاد الشام على التصدي للغزو الخارجي الصليبي عندما جاء إلى المنطقة في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فوقعت لقمة سائغة بيده دون كثير من المقاومة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خريطة ١١٣



٢٢

المصادر والمراجع:

المصادر: أولاً- العربية:

1. ابن الأثير، علي بن محمد (ت، 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، (11 جزءاً)، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، 1424هـ- 2004م.
2. ـــــــــ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، تح: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963م.
3. الأصفهاني، محمد بن محمد العماد (ت، 597هـ/ 1200م)، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار: الفتح بن علي البنداري (ت، 643هـ/ 1245م)، شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1318هـ- 1900م.
4. ابن تغري بردي، يوسف (ت، 874هـ/ 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (16 جزءاً)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1413هـ- 1992م.
5. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت، 597هـ/ 1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (19 جزءاً)، تح: محمد عطا،مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1412هـ- 1992م.
6. الحسيني، علي بن ناصر (ت، بعد 622هـ/ 1220م)، أخبار الدولة السلجوقية، تح: محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1404هـ- 1984م.
7. الحموي، ياقوت (ت، 626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، (7 مجلدات)، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م.
8. ابن خلدون، عبد الرحمن (808هـ/ 1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

السلطان الأكبر، (8 مجلدات)، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ- 2003م.
9. ابن خلكان، محمد بن أحمد (ت، 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (8 مجلدات)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).
10. الذهبي، محمد بن أحمد (ت، 748هـ/ 1347م)، العبر في خبر من غبر، (4 أجزاء)، تح: صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، وزارة الأعلام، ط2، الكويت، 1984م.
11. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي (ت، 654هـ/ 1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، (23 جزءاً)، تح: محمد أنس الخن، كامل محمد الخراط، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 1434هـ- 2013م.
12. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت، 665هـ/ 1268م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، (4 أجزاء)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ- 2002م.
13. ابن الشحنة، محمد بن محمد (ت، 890هـ/ 1485م)، الدُّرُ المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبد الله الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، 1404هـ- 1984م.
14. ابن شداد، محمد بن علي (ت، 684هـ/ 1285م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، (3 أجزاء)، تح: يحيى عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، 1991م.
15. الصفدي، خليل بن أيبك (ت، 764هـ/ 1362م)، أمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط2، بيروت، 1403هـ- 1983م.
16. ـــــــتحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تح: إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان، دار البشائر، ط2،دمشق، 1419هـ - 1999م.

17. ـــــــــالوافي بالوفيات، (29 جزءاً)، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1420هـ- 2000م.
18. ابن العديم، عمر بن أحمد (ت، 660هـ/ 1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، (12 مجلداً)، تح: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1988م.
19. ـــــــ زبدة الحلب من تاريخ حلب، (جزآن)، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، 1418هـ- 1997م.
20. ابن عساكر، علي بن الحسن (ت، 571هـ/ 1175م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، (80 جزءاً)، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ- 1995م.
21. العظيمي، محمد بن علي (ت، 556هـ/ 1161م)، تاريخ حلب، تح: إبراهيم زعرور، دمشق، 1984م.
22. ابن العمراني، محمد بن علي (ت، 580هـ/ 1184م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1419هـ- 1999م.
23. غرس النعمة، محمد بن هلال الصابئ (ت، 480هـ/ 1087م)، عيون التواريخ، رواية سبط ابن الجوزي، تح: سميحة أبو الفضل، رسالة ماجستير- غير منشورة، بإشراف: أ.د سهيل زكار، جامعة دمشق، 1987م.
24. الفارقي، أحمد بن يوسف (ت، بعد 572هـ/ 1176م)، تاريخ الفارقي. تح: بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1379هـ- 1959م.
25. أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت، 732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، (4 أجزاء)، المطبعة الحسينية، ط1، القاهرة، 1325هـ.

26. ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت، 555هـ/ 1160م)، تاريخ دمشق (360-555هـ/ 970- 1160م)، تح: سهيل زكار، دار حسان، ط1، دمشق، 1403هـ-1983م.

27. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت، 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، (20 جزءاً)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، القاهرة، 1419هـ-1998م.

28. المقريزي، أحمد بن علي (ت، 845هـ / 1441م)، إتعاظالحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، (جزآن)، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ- 2001م.

29. ـــــــ المقفى الكبير، (8 أجزاء)، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1411هـ- 1991م.

30. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت، 733هـ/ 1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (33 جزءاً)، (ج26- 27) تح: نجيب فواز، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ- 2004م.

31. ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت، 749هـ/ 1348م)، تاريخ ابن الوردي، (جزآن)، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، 1417هـ- 1996م.

ثانياً- الفارسية:

32. خواندمير، غياث الدين بن همام الدين (ت، 942هـ/ 1535م)، دستور الوزراء، تر: حربي سليمان، منشور ضمن كتابه (المؤرخ الإيراني الكبير غياث الدين خواندمير)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م.

33. الراوندي، محمد بن علي (ت، بعد 603هـ/ 1206م)، راحة الصدور وآية السرور، تر: إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، دار القلم، القاهرة، 1379هـ- 1960م.

المراجع: أولاً: العربية:

1. إسماعيل، أحمد علي، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام في القرنين الخامس والسادس، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1403هـ- 1983م.
2. بيطار، أمينة، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دار دمشق، ط1، دمشق، 1400هـ- 1980م.
3. خليل، عماد الدين، الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1400هـ- 1980م.
4. زكار، سهيل، إمارة حلب، دار الكتاب العربي، دمشق، (د.ت).
5. ـــــ مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الأمانة- مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت،1391هـ- 1972م.
6. زكار، سهيل، أبو الفضل، سميحة، تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي الثاني، جامعة دمشق، ط2، 1428هـ- 2007م.
7. سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1966م.
8. الشيخ، محمد، الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، الإسكندرية، 1980م.
9. طقوش، محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، ط1، بيروت، 1423هـ- 2002م.

10. كحالـه، عمـر رضـا، معجـم قبائـل العـرب القديمـة والحديثـة، بيـروت، مؤسسـة الرسالة، ط5، 1405هـ- 1985م.
11. مصـطفى، شـاكر، فـي التـاريخ الشـامي، (جـزآن)، دار طـلاس، ط1، دمشـق، 1998م.
12. المعاضيدي، خاشع، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي، دار الحرية، ط1، بغداد، 1976م.
13. ـــــ دولة بني عقيل في الموصل، مطبعة شفيق، ط1، بغداد، 1968م.
14. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط33، 1992م.
15. نـاجي، عبـد الجبـار، الإمـارة المزيديـة (387- 558هـ/ 997- 1162م)، دار الطباعة الحديثة، البصرة، 1970م.

ثانياً: المترجمة إلى العربية:

16. بولاديان، أرشاك، الأكراد في حقبة الخلافة العباسية في القرنين 10- 11م، تر: ألكسندر كشيشيان، الدار الوطنية الجديدة، ط1، دمشق، 2009م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

17. Bianquis, Thierry, Damas et la Syrie sous la Domination Fatimide (359-468/ 969-1076) Damas, 1986.
18. Salibi, Kamal, Syria under Islam, empire on trieal 634-1097, first published , Lebanon, 1977.

رابعاً: المقالات والأبحاث والدوريات:

19. مصطفى، شاكر، الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العددان 3- 4، 1973م.

20. كاهن، كلود، الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى، ترجمة: علي مقلّد، مجلة الاجتهاد، بيروت، دار الاجتهاد، العدد السادس، 1410هـ- 1990م.